326

HARLEQUIN

روايات أحلام

الموت حباً

أليسون فرايزر

www.elromancia.com
مرمورية

الموت حباً

وقفت تايري في وجه الريح ولم تضعف .. حدقت في عيني الموت ولم تخف .. فلماذا يخيفها الآن إيوان سنكلير ؟ ولماذا يضعف قلبها إلى هذا الحد أمامه ؟ ألم يقل لها ستو إن الحب هو للضعفاء والمغفلين ؟

لكن ستو مات الآن . ومات كيت أيضاً .. ولعل الحب هو ما قتلهما ؟ .. وعادت تايري وحيدة في الحياة كما كانت منذ ولدت .. لا أهل . لا أقرباء . لا أحباء . لا أحد إلا هذا الرجل ... إنه يطاردها . يحاصرها . ينقذها ليعود فيسجنها . يريد أن يحاسبها على جريمة لم تقترفها ..

... وعلى شفتيها صرخة تحبسها كي لا تنطلق : ألا تعلم ؟.. جريمتي الوحيدة أنني أحببت ؟

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الامارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 9953-15-202-0

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
His mistress's secret
First published in Great Britain 2002
Harlequin Mills & Boon Limited
© *Alison Fraser 2002*
Translation © *Dar El-Farasha - 2004*
ISBN 9953 - 15 - 202 - 0

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

جيسيكا ستايل

تعيش في قرية في «وير سيستر شاير» برفقة زوجها الرائع بيتر. يملكان كلباً رائعاً من فصيلة «ستافورد شاير» يُدعى لورنس، وهو كلب صاخب، ولكنه رائع. كان بيتر أوّل من شجع جيسيكا على الكتابة، ووقف إلى جوارها وساندها بعد أن لقيت أولى محاولاتها الفشل. ولحسن الحظّ، وباستثناء الاوروغواي، تمكنت جيسيكا من التغلغل الى داخل معظم البلدان، لتحط رحال كتبها، حتى أن منشوراتها قد وصلت إلى بلدان بعيدة مثل مصر وسيبيريا وبالتالي توجه شكرها إلى بيتر على كل المساعدة والتشجيع اللذين قدّمهما لها.

جيسيكا ستيل نجمة في عالم القصص الرومنسية، ألفت أكثر من ٧٥ رواية. يحبّها معجبيها حول العالم بسبب قصصها المسلية، العاطفية والمتفائلة.

١ ـ حديث مع رجل ميت

جلس إيوان سنكلير، والذي يناديه أصدقاؤه«سنيك»، خلف مكتبه وراح يرتشف كأس العصير. لقد انتهى التحقيق في هذا الاصطدام المأساوي دون توجيه اللوم إلى أحد.

يا لها من نكتة! برأيه، ثلاثة أشخاص على الأقل مسؤولون برأيه بشكل غير مباشر، عن وفاة كيت.

أولهم هو نفسه، فقد كان بمثابة الأب لكيت، ومع ذلك لم يكن كيت يرغب في طلب معونته عندما يقع في المشاكل.

بعدئذ، تأتي مسؤولية ستيوارت ماكلينان. كان من المستحيل التأكد مما إذا كانت الدراجة النارية والسيارة تتسابقان لأن الاثنتين خرجتا عن الطريق. لكن في كلا الحالتين، ظهر أن ماكلينان كان تحت تأثير المخدر، وبالتالي فهو مسؤول في نظر سنيك.

وأخيراً، المسؤولة الثالثة هي تاي نيمو، صديقة كيت السابقة. راقبها سنيك أثناء إدلائها بشهادتها في المحكمة وقد بعث الاشمئزاز في نفسه بشعرها المصبوغ وزينة وجهها المفرطة.

تصور زوجته الراحلة نيكول، وهي تسخر منه من قبرها، مرددة إهاناتها المهذبة له بأنه متحفظ، سجين مشاعره. حينذاك لم يهتم كثيراً. لكن تلك النعوت عادت الآن إلى ذهنه. شعر أنه بحاجة إلى القيام بشيء ما، ولكن ما هو؟ فتح درجاً وأخرج منه حاجيات كيت، حاجيات تسلمها من

الشرطة.

لم تكن هذه الحاجيات كثيرة بالنسبة إلى تسعة عشر عاماً في هذا العالم.

الشيء الوحيد الذي آل إليه من كيت هو هاتفه الخلوي، الذي عُثر عليه في صندوق القفازات في سيارة ماكلينان. عليه أن يشحن البطارية. كان يعلم أنّ مفتاح لغز حياة ابن زوجته وموته قد يكون فيه.

كان عليه أولاً أن ينتظر الحكم القضائي رغم أنه يتساءل الآن عما يرجو من وراء ذلك. هل يمكنه أن يتقبّل فكرة أن الفتى حاول أن يقطع منعطفاً حاداً بسرعة تسعين كيلومتراً؟ إنها سذاجة طبعاً. لكن الاثنين اللذين تصادما قُتلا أما الشخص الثالث فادعى الجهل. وإذا أراد الحقيقة، عليه أن يبحث عنها بنفسه.

أمسك الهاتف الخلوي وضغط زر الفتح. ثم أخذ يفتش في دليل الهاتف، وإذا باسم تاي نيمو المضحك يظهر. ومن غيرها؟ إنها في رأس القائمة، ما يظهر مبلغ أهميتها لدى كيت عند موته.

تردد سنكلير لحظة ثم، ولأول مرة، اندفع من دون تفكير وضغط على الرقم.

***

استندت «تايري نيمو» إلى ظهر الأريكة وحاولت ألاّ تفكر في شيء. لم تشأ أن تفكر في تحقيقات المحكمة أو في لهفة الصحافة إلى قصة، أو في المعجبين الذين أتوا ليواسوها أو تواسيهم.

كان الوضع أشبه بسيرك: أضواء، تدافع، أصوات.

وفجأة، أصبحا في قمة الشهرة. ليت ستو كان هنا! إنه يعشق الظهور، والتظاهر باللامبالاة حتى وهو يتزلف إلى المتفرجين، على عكس كيت طبعاً. فقد كان ليبقى في المؤخرة كعادته وكأنه يريد أن يختفي كلياً عن الآخرين إذ كان خجولاً وصغيراً بالنسبة إلى نجم الروك.

وكان هذا خطأ اقترفوه حين سمحوا لابن السابعة عشرة بأن ينضم إلى

الفرقة.

ـ ماذا فعلت يا ستو؟

ألقت سؤالها هذا بصوت مرتفع، فعاد الجواب إلى رأسها: «دعي عنك هذا (يا فأرة)... لا يمكنك أن تشركيني في شعورك بالذنب، فأنا أيضاً ميت، هل نسيت؟»

وكأنها تستطيع أن تنسى.

وعبست تاي حين أدركت أنها عادت إلى هذه العادة مرة أخرى، عادة التحدث إلى رجل ميت.

لم تكن تظن أنها على وشك الجنون، لكن العيش في فراغ أمر صعب.

وهذا لا يعني أنها لم تكن تتلقى دعوات زادت ثقتها بنفسها، بل على العكس. الصحف اليومية، المجلات الأسبوعية وكثير من المجلات النسائية كانت تتبارى في نشر العنوان (تاي تتحدث عن المأساة الهائلة).

أرهقتها اتصالاتهم فأخذت تقطع المكالمات من منتصفها. حتى أنها لم تكن تزعج نفسها أحياناً برفع السماعة، مثل حالها الآن.

التفتت إلى السماعة تحدّق إليها، متسائلة متى سيضجر المتصل ويضع سماعته. فمعظم المتصلين ينتظرون ثلاث أو أربع دقائق قبل أن يتقبلوا فكرة أنها لن تجيب.

لكن هذا المتصل بالذات كان لجوجاً. فقد بدا وكأن الرنين دون نهاية قبل أن ينقطع فجأة، إنما ليعود ثانية على الفور. أخيراً رفعت السماعة وأوصلت المجيب الآلي.

عادت تتكىء إلى الخلف، محاولة إجلاء ذهنها، لكن الأفكار أخذت تتسارع في حلقة مفزعة، ما جعلها تجن.

بقي الهاتف صامتاً، لحسن الحظ، على عكس أفكارها.

وقفت واتجهت إلى غرفتها. كانت الساعة الثامنة لكنها قد تستغرق في النوم إذا ما استلقت في سريرها.

سارت إلى الردهة وتشبثت بدرابزين السلم بشدة وهي تصعد إلى الطابق

الأعلى وما كادت تدخل غرفة النوم حتى عاد الهاتف إلى الرنين. كان الصوت منخفضاً ومرتعشاً، فقد جاء من هاتفها الخلوي الموضوع تحت كومة من الثياب على سريرها.

أمسكت به وضغطت على زر رفض المكالمة لكن ليس قبل أن تسمع الكلمات التالية. (هاتف كيت الخلوي)

هاتف كيت الخلوي؟ كيف يمكن هذا؟

عاد ذهنها إلى تلك الليلة. جمع كيت حاجياته وأقفل جيب الدراجة النارية حين لم يعد يستوعب شيئاً. ما الذي فعله بهاتفه الخلوي؟ لا شيء، فقد أخذه ستو منه.

هل نجا الهاتف حقاً من حادثة الاصطدام؟ كانت سيارة ستو حطاماً. لكن من أصبح صاحبه الآن؟ لم تشأ أن يبقى الأمر غامضاً فضغطت على زر القبول. وجاءها الجواب على الفور: «نعم؟».

- أنت طلبت رقمي؟

- تاي نيمو؟

- الآنسة نيمو غير موجودة في البيت. أيمكنني أخذ رسالة لها؟

جاءت الكذبة بشكل آلي، فلطالما أزعجتها اتصالات المعجبين في الماضي.

قال المتكلم بعد فترة صمت: «أنا والد كيت».

شعرت تايري بصدمة ثم تملكها الاعياء وهي تدرك أنها ليست الوحيدة التي تكذب. لم يكن كيت يتحدث كثيراً عن والديه، لكنها تعلم أن أمه ميتة وأن أباه الأميركي تجاهله معظم سنوات عمره التسع عشرة. أجابت بجرأة: «هذا غير ممكن لأن أباه كان أميركياً».

فجاءها صوته الإنكليزي بطبقته الراقية: «أنت محقة. كان عليّ أن أقول: أبوه بالتبني».

افترضت تايري أن ذلك صحيح. فقد كان لكيت أزواج أم عدة، وأحدهم كان لا يزال يتصل به من حين إلى آخر.

- هكذا؟

ولم تكن هذه الكلمة الوحيدة مشجعة، لكنه ألحّ قائلاً: «أحب أن أتكلم معك».

فقالت مصممة على متابعة ادعائها: «تعني الآنسة نيمو، إنها ترتاح لسوء الحظ. . .».

فقاطعها متوتراً: «أرجوك. يمكنني تمييز اللهجة أيضاً، يا آنسة نيمو. أنت من ساحل اسكوتلندا الغربي، إذا لم أكن مخطئاً، شمال غلاسكو. شبه جزيرة أرغيل، على الأرجح».

وكان على صواب، وكان هذا أمراً غير عادي. فمعظم الإنكليز لا يميزون إلا أنها اسكوتلندية.

تخلت تايري عن ادعائها وسألته باختصار: «اسمع، ماذا تريد؟».

- لدي بعض الأسئلة عن كيت وربما بإمكانك أن تجيبي عنها. . يمكنني أن أحضر لرؤيتك إذا شئت.

- الآن؟

- هذا أفضل، فأنا قريب.

- قريب؟ قريب من ماذا؟

- من بيتك.

قال هذا ببطء فلاحظت أمرين في الوقت نفسه. كلماته وصوت محرك السيارة، فشعرت بقشعريرة خوف.

- هل تعرف أين أسكن؟

فمن المفترض أن يكون عنوانها سرياً. فقال باتزان: «أعتقد ذلك. كان كيت قد أعطاني آخر عنوان له: «كوخ آيفي، وود سايدلين»، بقرب. . .».

لم تستمع تايري لبقية العنوان بعد أن رأت القسم الأول منه صحيحاً، فقد تملكها الرعب وهي تتذكر جيداً آخر مرة زارها فيها شخص غير مدعو.

- لا تأت إلى هنا. هل تسمعني؟ سأستدعي الشرطة. سأستدعيها حالاً.

سمعها تصرخ به. لكن جملتها الأخيرة لم تكن دقيقة تماماً حيث اسرعت لتتفقد إن كان الباب الخارجي مقفلاً جيداً. هبطت السلم على عجل، فإذا بها تنزلق في منتصفه. مدّت يدها تتشبث بالدرابزين، لكنها سقطت بحركة غير رشيقة ليصطدم رأسها بشيء صلب حين استقرّت أسفل السلم.

وقبل أن تغيب عن وعيها بثوانٍ لاحظت أن مزلاج الباب لم يكن موضوعاً. وأخيراً سقطت في هاوية النسيان الذي كانت تنشده.

***

حدّق سنيك إلى الهاتف في يده، محاولاً أن يفهم ما سمعه قبل أن ينقطع الاتصال. عدة كلمات صاخبة تبعتها صرخة ثم خبطات عدة.

لعلها امرأة مجنونة راحت تقذف أغراضها.

أو لعلها سقطت عن السلّم. لكن المشكلة الحقيقية الآن هي ماذا عليه أن يفعل؟ يكمل طريقه لكي يتفقدها؟ أو يعود إلى بيته عالماً أنه لا ينبغي عليه أن يتصرف مجدداً بمثل هذا الاندفاع؟ لكنه يعلم ما يفضله ... إنه ملتزم بالواجب دوماً وهكذا تابع سيره.

***

٢ ـ من أنا؟

استيقظت تايري بين ملاءات بيضاء نظيفة، والصداع يتملكها. لم تتساءل، كالمعتاد، أين هي لأنها لم تجد من تسأله، كما كان الجواب واضحاً على أيّ حال.

حركت ذراعيها وساقيها لترى إن كانت تتحرك. ويبدو أنها كذلك، لكنها أجفلت عندما شعرت برضوض عدة في جسدها.

عادت بأفكارها إلى الوراء. آخر ما تتذكره هو وقوعها عن السلم واصطدام رأسها بجدار أو خشب صلب. كانت على عجلة من أمرها فانزلقت على الدرجات الخشبية المصقولة المغطاة بسجادة قديمة الطراز. لكن لما كانت مندفعة بذلك الشكل؟ إنه الهاتف. أكانت مسرعة لتجيب عليه؟ الأمر ليس كذلك. أغمضت عينيها وركزت، حتى تذكرت ذلك الرجل الذي يحمل هاتف كيت الخليوي.

كان الصوت رقيقاً مهذباً ومع ذلك متوعداً. لقد هدّدها بالقدوم إلى بيتها، ما جعل الذعر يتملكها.

من الذي أنقذها إذن؟ إنها شبه واثقة من أنه ليس هو. فهي تتذكر بشكل مبهم صوتاً آخر رقيقاً مواسياً ويدين رقيقتين تحركانها. رجل الاسعاف؟ ربما، رغم أنها نسيت الرحلة إلى هنا.

التفتت إلى الباب حين انفتح، فرأت ممرضة ابتسمت لها: «أنت مستيقظة إذن، كيف حالك؟».

أرغمت نفسها على مبادلتها الابتسام: «بأحسن حال. أين أنا

بالضبط؟».
ـ في مستشفى «آبي كلينيك».
ـ منذ متى؟
ـ منذ الليلة الماضية كما أعتقد. هل تتذكرين ما حدث؟
ـ نعم، انزلقت قدمي فوقعت عن السلم.
بدا السرور على الممرضة: «هذا حسن، ما من كسور لحسن الحظ».
ـ أيمكنني الذهاب إلى بيتي إذن؟
وجلست في سريرها وكأنها تستعد للهرب، فتقدمت الممرضة منها تعيدها برفق إلى وضعها السابق في السرير: «لا، ليس الآن. على الطبيب أن يراك أولاً، ويطمئن إلى أن حالتك تسمح لك بالخروج».
أرادت تايري أن تخرج مع أقل ما يمكن من الإزعاج: «لا بأس. هل يعلم أحد أنني هنا؟».
ـ أتعنين قريبك؟
هزت تاي رأسها إذ لم يكن لديها أقرباء.
ـ هل تعرفين من أنا؟
كان هذا سؤالاً وحسب لأنها لا تستغل شهرتها للمباهاة أو الترهيب.
ابتسمت الممرضة معتذرة: «آسفة، فقد دخلت بحالة طارئة، ولم نجد وقتاً لملء أوراق الدخول. إذا أمكنك فسنفعل الآن».
بدا واضحاً أن الممرضة لم تعرفها رغم أن صحف شعبية عدة نشرت صورتها على صفحتها الأولى طوال الأسبوع الماضي. لكن شخصية تايري العامة تظهر بشعر مستعار طويل أشقر يغطي شعرها الحقيقي الاسود القصير، كما أنها سرعان ما تمسح زينة وجهها عندما تصبح وحدها، كما تستبدل الملابس الجلدية المزخرفة ببنطلون جينز وقميص مقفل.
وخطرت في بالها فكرة. إذا لم يكتشفوا شخصيتها الحقيقية، فهل عليها أن تخبرهم؟ وسألتها الممرضة وهي تحمل بيدها القلم والورق: «الاسم؟».
ـ اسمي. . .

وجدت تايري صعوبة في التفكير في اسم مستعار على الفور. ورأت الممرضة جبينها مقطباً فأخطأت في تفسير السبب: «هل تجدين صعوبة في التذكر يا عزيزتي؟».
فانتهزت تايري الفرصة: «أنا. . . نعم.».
ـ لا تقلقي. سأذهب وأحضر الطبيب.
كانت تاي مستندة إلى الوسائد خلفها، عندما دخل طبيب شاب وقد بدا عليه الانزعاج.
ـ أخبرتني الممرضة أنك تجدين صعوبة في تذكر اسمك.
فقالت: «أريد أن أذهب. هل هذا ممكن؟».
سألها بذهن شارد: «تذهبين؟ إلى أين؟».
ـ إلى بيتي.
ـ وأين بيتك؟
هزت تايري رأسها إذ لم يحدث قط أن أعطت لأحد عنوان كوخها فسرعان ما تصبح مطاردة حيث تقيم.
ـ لا يمكننا أن نسمح لك بالخروج قبل أن نتأكد من أنك على ما يرام. فقد أصبت بارتجاج في المخ إنما ما من كسور في الجمجمة لحسن الحظ.
وابتسم لها مطمئناً، ثم سار إلى الباب مع الممرضة وهو يقول: «يجب أن يعلم الدكتور شيفرز بتطوّر حالتها، كما يجب الاتصال بالسيد سنكلير لأنه من حوّلها إلى هنا. وفي الوقت نفسه راقبيها ولا تضغطي عليها بأسئلة كثيرة!».
كان يتكلم بصوت خافت لكن تاي سمعته، فتساءلت إن كان يعتبرها على شيء من ضعف العقل.
في الواقع، وبالرغم من الصداع الشديد، وبعض الألم بسبب رضوض جسمها، كانت تشعر بالحيوية كعادتها.
وعندما انفردت بالممرضة سألتها: «من هو السيد سنكلير؟».
ترددت الممرضة قليلاً قبل أن تقول: «إنه رئيس قسم الأطفال في

www.elromancia.com

مستشفى سان بارتلوميو».

ـ هل هو طبيب؟

ـ إنه استشاري.

قطبت جبينها: «استشاري في طب الأطفال؟».

ـ نعم. هذا صحيح.

ـ لماذا أرسلني إلى هنا إذن؟

ـ لا أدري بالضبط ما هي علاقته بحالتك. هل تجاوزت السادسة عشرة؟

فأجابت تاي بجفاء: «يمكنك أن تقولي ذلك».

كانت، في الواقع، في الثالثة والعشرين. لكنها تبدو أحياناً أصغر سناً، خصوصاً من دون زينة على وجهها. فقالت الممرضة ببشاشة مصطنعة: «حسناً، لا بأس. يمكنك أن تطمئني إلى أنك بين أيدٍ أمينة للغاية»؟

ارتسمت ابتسامة باهتة على فم تاي، فهي لا تريد أن تكون بين يديّ أي طبيب. سألت الممرضة بصوت حاولت أن تجعله عفوياً: «أتعرفين أين وضعوا ثيابي؟».

ـ لا، مع الأسف. سأحاول أن أعلم.

عندما أصبحت وحدها، عادت تستلقي وتحاول أن تملأ الثغرات في أحداث الليلة الماضية. ما زالت لا تعرف وجه أو اسم منقذها. يبدو أنه زوج أم كيت، لكنها كانت مقتنعة بأنه لا يمكن أن يكون هو. فلو أنه من عثر عليها، لبقيت ملقاة أسفل السلم.

ولكن من غيره أتى في اللحظة نفسها، وهي التي لا يعرف بيتها سوى القليل جداً من الناس؟ بدا لها أن مدير أعمالها هو الأحتمال الأرجح، فقد تركته وخرجت بعد أن حاول أن يتحدث إليها عن العمل، ولعله جاء غاضباً مما جرى.

فكرت في الاتصال به، وكانت تعلم أن لس غراي سوف يترك كل شيء ويهرع إليها. فهي تمثّل حالياً بطاقة إعاشته والمنشط والدافع إلى الحركة.

مدت يدها إلى الهاتف لكنها أوقفتها في منتصف الطريق. فلو أخبرت لس أنها في المستشفى سيسرع في الحضور، لكن من الممكن جداً أن ينبّه الصحافة أولاً.

لا، لن تتصل بمديرها.

فكرت في احتمالات أخرى، لكنها رفضت كل واحد منها، حتى لم يبق لها خيار، فقررت أن تترك الأمر على حاله وتستمتع بأنها مجهولة الهوية ولو لمدة قصيرة.

أحضر الغداء فجاهدت لأن تأكل شيئاً، عالمة أنهم سيلاحظون إن أكلت أم لا. وعندما تعبت من عدم القيام بشيء، أخذت غفوة بعد الظهر.

استيقظت ببطء وفتحت عينيها. سمعت أصواتاً أسفل السرير تتحدث عن حالتها وقد بدا أنهم لا يحتاجون إلى معلومات منها.

سمعت الطبيب الذي زارها يقول: «حالتها مستقرة».

فسأل شخص آخر: «هل من تلف في الجمجمة؟».

وفكرت تاي في أنها تعرف لهجة هذا الرجل لكنها لم تتذكرها.

فأجاب الطبيب: «لا أثر لذلك في التصوير. إنما يبدو أنها تعاني من بعض التشوّش بالنسبة إلى تذكّر هويتها».

ـ تشوّش في تذكر هويتها؟

قال الصوت الثالث هذا بلهجة تهكمية فسارع الطبيب الصغير السن يعيد صياغة كلامه: «يبدو أنها لا تتذكر اسمها، يا سيدي».

فتمتم الرجل بجفاء: «غريب. وكيف تتصرف بالنسبة إلى الأمور الأخرى؟».

تدخّلت الممرضة قائلة: «إنها بشوش ومفكرة غالباً».

فقال الطبيب الأكبر سناً: «وهذا غير طبيعي بالنسبة إلى هذه الظروف».

ـ تماماً. ماذا تقترح يا سيد سنكلير؟ هل ننقلها إلى القسم العام لتقييم حالة ذاكرتها؟

فقال السيد سنكلير: «هذا يعود إلى الدكتور شيفرز لأنها مريضته هو. على أيّ حال، أحب أن أتحدث إليها إذا أمكن ذلك».

ـ بكل تأكيد يا سيدي.

ـ هل أوقظها يا سيد سنكلير؟

استطاعت تاي، حتى وهي مغمضة العينين، أن تلاحظ نظرات الإحترام التي يوجهها الطبيب والممرضة إلى السيد سنكلير.

أجاب بلهجة ارستقراطية: «لا حاجة لأن توقظيها، فهي مستيقظة فعلاً».

كيف عرف بذلك؟ تساءلت تاي وعيناها لا تزالان مغمضتين بشدة. لكنها بقيت جامدة إلى أن شعرت بأصابع طويلة تلتف حول معصمها لتفحص نبضها. عندئذ، فتحت عينيها لتجد نفسها تحدق إلى وجه لا يتناسب مع ذلك الصوت وتلك الشخصية مطلقاً.

تصوّرت شخصاً لا يُطاق، في الخمسينات من العمر، لكنها وجدت شخصاً مختلفاً جداً، بعينيه الحادتين ووجنتيه المنحوتتين من الصوّان. كان يرتدي بذلة رمادية حسنة التفصيل تبرز قامته الطويلة الرياضية.

وعمره؟ من الصعب التكهن به. لم ترَ أيّ تغضن في وجهه الوسيم رغم بعض الخيوط الرمادية في شعره.

قالت تاي بذلك الاندفاع الذي أوقعها غالباً في المشاكل: «دكتور دوغ روس، طبق الأصل».

سألها ببطء: «من؟».

ـ إنه ممثل... لا بأس. ألا تشاهد التليفزيون؟

فقال باستهجان: «نادراً».

رأت الممرضة خلفه تجاهد لكبح ابتسامتها، بينما أضاف هو باختصار: «هل تعرفينني؟».

بدا من السؤال وكأنه يعلن أهميته فهزّت كتفيها: «وهل ينبغي عليّ ذلك؟».

قطب جبينه قبل أن يلتفت إلى الطبيب الشاب والممرضة. «هل لديكما مانع من أن أتحدث إلى المريضة على انفراد؟».

ـ كلا بالطبع.

يبدو جلياً أنهما يعتبران السيد سنكلير هذا شخصية هامة. لكنه لم يكن كذلك بالنسبة إلى تاي، وعندما قال: «أظنك تتذكرين أنك سقطت عن السلم».

وتناول أوراقها من على طرف السرير ونظر إليها بسرعة قبل أن يعلن: «صور الأشعة تظهر أن ما من كسور ماذا كنت تفعلين عندما سقطت؟».

ـ كنت في بيتي أهتم بشؤوني الخاصة عندما...

وعندما ترددت قال بسرعة يستحثها: «عندما ماذا؟».

فردت بفتور: «عندما انزلقت قدمي على درجة السلم».

ـ ألم تكوني متكدرة من شيء؟

ماذا يريد منها ؟ أن تعترف بأنها ألقت بنفسها من أعلى السلم؟

فقالت كاذبة بمرح: «بل كنت في أحسن حال...».

وسكتت فجأة إزاء النظرة التي رمقها بها، وكأنه يقول نحن لا نلهو هنا... ثم قال ما لا يمكن تصديقه: «أنا أعلم أنك تكذبين».

ذهلت تاي قليلاً. وأخيراً صاحت في وجهه: «ألا يعلمونكم في مدارس الطب كيف تتحدثون إلى المريض؟».

قطب جبينه لكنه لم يعتذر. وبدلاً من ذلك أخذ يتفحصها وقد بان الإشمئزاز على وجهه.

ـ اسمع، هل شعوري قبل أن أسقط أمر مهم؟ المهم هو حالتي الآن، ويمكنني القول إنني بخير. لذا، إذا أحضروا لي ملابسي فيمكنني أن أخرج.

ـ لا يمكننا أن نسمح لك بالخروج طالما أنك تعانين من ضعف في الذاكرة.

وجدت أنها ستُسجن هنا إذا لم تنطق بالحقيقة، فقالت: «تلك كانت نكتة. فأنا أعرف من أنا».

- من أنت؟

لم تشأ أن تفصح عن هويتها، لكنها كانت قد جهزت لنفسها اسماً، فقالت «أنا ماري ماري باكستر»

وكان هذا اسم زميلة لها في المدرسة فاستعملته ببعض الثقة، واثقة من أن هذا الرجل لن يكتشف هويتها حيث أنه ليس من جمهور أغاني «الروك»، ولا من قراء الصحف الشعبية

نظر إليها بحدة لحظة قبل أن يتمتم. «هذا تحسّن، على الأقل».

فسألته لتتحقق مما سمعت: «عفواً؟».

فهز رأسه «حسناً، يا آنسة باكستر. . .».

فوجدت نفسها تكذب: «أنا سيدة، في الواقع».

- سيدة باكستر. بما أنك تعانين من ارتجاج في المخ، لا بدّ أن تخرجي تحت رعاية شخص مسؤول. زوجك. .

قاطعته قائلة: «إنه ميت. . .».

ضاقت عيناه، وأدركت أنه يحاول أن يميّز الحقيقة من الكذب فتمنت لو أنها لم تبدأ هذا. . .

بادلته التحديق علّه يحوّل عينيه. كانت واعية إلى شبهه بنجوم السينما، لكن الذكاء الحاد في عينيه الزرقاوين لفت نظرها أكثر. وأخيراً، حوّلت نظرها عنه بقلق.

وعندما عاد يتكلم، قال: «أظن أنّ علينا أن نضع حداً لهذه الألاعيب، يا آنسة نيمو».

- أنت تعرفني إذن؟

رأت أنه جعلها تحفر حفرة لنفسها، فأومأ: «كان لديّ بعض الشكوك ليلة أمس. فقد بدوت مختلفة جداً من دون الشعر المستعار والماكياج».

في الواقع، ما زال سنكلير يجد صعوبة في الاقتناع بأن فتاة الروك الهائجة هي هذه!

أتراها هي حقاً؟. . . لم يكن واثقاً. الشعر القصير والملامح الرقيقة

جعلتها تبدو أشبه بطفلة متشردة جائعة. لكن الشفتين ما زالتا ممتلئتين، وخلف العينين الواسعتين الخضراوين يكمن ذكاء أكبر مما كان يتوقع.

- الليلة الماضية؟

- نعم، في كوخك.

تشوشت أفكارها فقال: «كنت تتحدثين إلى رجل ما قبل أن تسقطي».

فأومأت ببطء: «والد كيث بالتبني. هل تعرفه؟».

- يمكنك أن تقولي هذا.

لم يستعجل في التعريف عن نفسه خوفاً من أن يتسبب لها بنوبة هستيرية أخرى.

سألته حين لم تجد تفسيراً آخر: «هل أرسلك هو؟».

- تقريباً.

حاولت تايري أن تتذكر ما قاله كيث عن أزواج أمه. وكان ذلك قليلاً جداً

لقد ذكر رجل أعمال غنياً. . . وهو الزوج رقم اثنين أو ثلاثة. . . . كان يكرهه. أتراه ذلك الرجل؟

قالت متهكمة: «لا تقل لي إنكما تلعبان الغولف معاً».

فقطب جبينه: «أنا لا ألعب الغولف».

- ما العلاقة بينكما إذن؟

سكت لحظة ثم قال معترفاً: «كنا في المدرسة معاً».

- طبعاً. كان عليّ أن أدرك ذلك. في كلية «إيتون؟». أو ما أشبه؟

تجاهل سؤالها ليقول بدلاً من ذلك: «لماذا تكرهين مقابلته؟ إنه يريد فقط أن يلقي عليك بعض الأسئلة عن ليلة حادث كيث».

فهزت كتفيها: «فقط؟ كل شيء قيل في المحكمة. يمكنه أن يشتري صحيفة».

- إنه يريد الحقيقة.

فتنبهت تاي قليلاً. كان المحقق قد تقبل قصتها التي قالت فيها إن كيث

وستو، بعد أن زاراها، قررا العودة إلى لندن. كان ستو في سيارته الرياضية، وكيت على دراجته النارية الجديدة، ولعلهما تسابقا. وقد أعلن المحقق أن الوفاة كانت نتيجة اصطدام.

هذا الرجل هو أول من يشكك بقصتها، فقالت ساخطة: «ماذا تعني؟».

- أنا لا أعني شيئاً وإنما أقوله بصراحة. أنا لا أصدق أن ما قلته عن تلك الليلة قد حدث فعلاً.

فقالت وهي تمدّ يدها إلى الجرس: «صدّق ما تشاء».

وتكهن بنيّتها فاندفع يمنعها والتفت أصابعه القوية على معصمها.

رفعت عينيها إليه مدهوشة، وازدادت دهشة لما رأته في عينيه. هذا الرجل الهادىء لم يكن هادئاً خلف ظاهره. وسألته متحدّية: «هل يدفع لك والد كيت بالتبني مقابل هذا؟ أم أنك تستمتع بإخافة النساء الضعيفات؟».

فقال غير مصدق: «ضعيفات؟ هل هكذا ترين نفسك؟».

لا، فتاي قادرة على الدفاع عن نفسها. لطالما فعلت ذلك في الماضي، لكن هذا أصبح صعباً في ظرفها الحالي فقط.

- حسناً، أنا لست في وضع يسمح لي بالثأر الآن، أليس كذلك؟ ومع ذلك، عندما تنتهي من سحق عظام معصمي، أريد أن تساعدني الممرضة في ارتداء ملابسي والخروج من هذا المكان.

رأى نظرة التمرد في عينيها، فشعر نحوها بالإعجاب.

ترك يدها لكن بعد أن أبعد عنها الجرس. أخذت تدعك معصمها، ولاحظ احمراره بسبب ضغط أصابعه فندم على استخدامه القوة.

- ستخرجين، ولكن هذا يعتمد على قدرتك التامة على ذلك؟

عبست تاي، ولماذا يهتم بها إذا كانت قادرة أم لا؟ وتابع يقول: «كما علينا أن نعرف سبب سقوطك».

- الجوارب الصوفية على الدرجات الخشبية، وعدم القدرة على معرفة الثقل النوعي، أو ببساطة، تزحلقت فسقطت...

- هذا مضحك للغاية.

لم يكن يضحك إنما ارتسمت الدهشة على وجهه، وكأنه لم يكن يتوقع منها مثل هذه الفصاحة.

لعله تصوّرها مغفلة وقررت أن تثبت له العكس. «اسمع، أنا مستعدة للتوقيع على اقرار بأني خرجت على مسؤوليتي الخاصة ما يلغي مسؤوليتك».

ضاقت عيناه وقد انتبه إلى أن رأيه فيها كان خاطئاً في بعض النواحي.

ونظرت إليه باعتذار ساخر: «آسفة. ها أنذا أخرج مرة أخرى من شخصيتي العامة المتكلفة».

واستقرت عليه عيناها الخضراوان اللتان يشع منهما ذكاء حاد.

- إذن فأنت ذكية

- من الأفضل أن تصدق ذلك.

- وهذا يجعل الأمر أسوأ.

- أحقاً؟

هزّ رأسه وتمنى لو يهزها، لكن المشكلة هي أنه ما زال يريد أن يسمع منها الحقيقة. في الواقع، افترض أن إنقاذه لها من البقاء طيلة ليلة باردة غائبة عن الوعي على أرض صلبة سيجعل الأمر أسهل.

أراد أن يقول لها إنه كان بإمكانه أن يتركها مستلقية هناك. لكنه جازف باقتحام البيت من خلال نافذة المطبخ. وعندما تقدم منها وهي مغمى عليها شعر بما يشبه الصدمة ظناً منه أنها ليست تاي نيمو. هذه المخلوقة الشاحبة الداكنة الشعر لم تكن تشبه أبداً نجمة الروك الشقراء الوقحة تلك.

فحص نبضها فارتاح لانتظامه، وتحركت وهي تتأوه بخفة، فوضع يده على جبينها مخففاً عنها وعندما عادت إلى الإغماء استعمل هاتفها لاستدعاء سيارة إسعاف.

وهناك على رف المدفأة رأى تلك الصورة.. كانت صورة عفوية تمثلها مع ماكلينان في حجرة صغيرة في مطعم. عندئذ، ظهرت له الحقيقة: تلك

www.elromance.com مروج

الفتاة الطريحة على الأرض في الردهة هي تاي بمو، إنما بشكل مختلف.

حدّق إليها الآن في ضوء النهار، متسائلاً أي الشخصيتين هي الحقيقية

وتملكها القلق إزاء تفحصه الصامت لها فسألت: «هل يمكنني أن أذهب، إذن؟».

ـ ليس قبل أن يفحصك زميلي الدكتور شيفرز.

لقد عاد إلى شخصية الطبيب، لكن من دون أي أثر للعطف في تصرفاته. ولو حدث أن فكرت يوماً، في كتف تبكي عليها فلن تختار هذا الرجل.

وأثبت رأيها فيه ذلك قوله «ساوصي، على أيّ حال، أن يكون خروجك من المستشفى مشروطاً بتقييم نفساني».

ـ ماذا؟

رأت في ذلك نكتة دفعتها لأن تضحك. لكنه لم يضحك وهو يجيب «لأنك كنت، قبل السقوط، في حالة نفسية خطرة نوعاً ما».

هزت تبري رأسها غير مصدقة

ـ هكذا إذن؟ لا بأس.

ودفعت عنها الغطاء وجلست على حافة السرير: «سأخرج من هنا ومن الأفضل ألاّ تحاول منعي».

ولم يكن مضطراً لأن يحاول، فقد أمسك بها عندما سارت خطوتين ولم تقوَ ساقاها على حملها.

وقعت عليه بالضبط. وما إن شعرت بالامتنان لتلك الذراع القوية التي التفّت حول خصرها تسندها، حتى جعلها الشعور بالعجز أكثر جنوناً.

أخذت تدفعه آمرة: «دعني أذهب!».

وأخيراً ابتسم: «لكي تقعي؟ طبعاً، إذا كان هذا ما تريدينه».

وسحب يده ولم يرتعش وهو يراها تعود للتشبث به.

لكن، على الرغم من هشاشتها هذه، ما زالت تتصرف بخشونة «أعدني إلى السرير!».

لكن سنخلبر لم يحن مستعجلاً في إطاعة هذه المتسلطة: «أرجوك».

ـ ماذا؟

ـ قولي: (أرجوك).

رفعت إليه عينيها غير مصدقة. كان رأسها يدور وكاحلها الأيسر يؤلمها وهو يضيّع الوقت في تعليمها حسن السلوك.

أخذت ترغي وتزبد بصمت، واعية جداً إلى أنه الأقوى فهي في ثوب المستشفى السخيف هذا.

ـ أرجوك.

خرجت هذه الكلمة من بين أسنانها المطبقة أشبه بشتيمة منها بكلمة مهذبة، لكنها بدت كافية إذ ساعدها على العودة إلى السرير. انتظرت حتى جلست قبل أن تجازف بالقول: «أنت حقاً لا تُطاق».

رفع حاجبه بخفة بالغة، وقال: «هذا غريب. هذا ما كانت زوجتي السابقة تقوله».

لاحظت تاي كلمة(السابقة) من دون دهشة. فمن بإمكانها أن تعيش مع رجل بمثل هذه البرودة وهذا التعالي؟

وعندما رآها تجفل وهي ترفع نفسها إلى السرير سألها: «ما الذي يؤلمك؟».

ـ كاحلي. . . الأيسر.

أمسك بقدمها يقلّبها برفق لم تتوقعه وهو يراقب ملامحها. احتملت الألم من دون تذمّر، ولم يفضحها سوى تنفسها الحاد أحياناً.

ـ ما من كسور. أظنه التواء، لكننا سنصوّره بالأشعة من باب الاحتياط كما أرى أن تكثري من النوم إلى أن يزول تأثير الارتجاج في المخ.

نظرت إليه تاي باستياء لكنها لم تعد إلى الجدل. وضع الغطاء على ساقيها ثم سار إلى الباب حيث التفت ليقول: «أظن أنّ عليك أن تعلمي أنني لست وسيطاً».

ـ ماذا تعني؟

- أنا الرجل نفسه . .

مضت لحظة قبل أن تقول «هل أنت والد كيت بالتبني؟»

- أنا أحدهم على أيّ حال.

وبابتسامة خفيفة للغاية، وكأنه يستمتع بذهولها، غادر الغرفة. لماذا لم يعترف بهويته قبل الآن. ولماذا لم تدرك هي ذلك؟ كانت لهجته هي نفسها، لهجة الطبقة الارستقراطية «الصوت الهادىء» نفسه مع نبرة الوعيد تلك. كما أنه أكثر غطرسة من أن يتحدث بالنيابة عن أحد.

كانت مستغرقة في أفكارها عندما انفتح الباب مجدداً، فالتفتت وإذا بها ترى الممرضة السابقة: «رأى السيد سنكلير أنك قد تحتاجين إلى مضاد للألم».

- يالحساسيته المفرطة!

لكن الممرضة أجابتها بابتسامة وهي تضع حبتين في يدها.

تفحصت تاي الحبتين بشك. ماذا لو كانتا أشد تأثيراً من الأسبرين؟ مخدراً حقيقياً مثلاً؟ إنه يسعى لمعرفة تفاصيل ليلة الحادث بكل دقة، أليس كذلك؟

لكنها لن تعجبه. لن تعجبه على الإطلاق!

* * *

٣ - اعترافات مؤلمة

الطبيب التالي الذي رأته تايري كان أكثر عطفاً. جاء عند العصر وقدم نفسه باسم الدكتور شيفرز. كانت حذرة معه، ظناً منها أنه جاء لتقويم وضعها العقلي، لكن فحصه كان جسدياً.

راحا أثناء الفحص يتبادلان أحاديث ودية للغاية، ثم أعلن أن بإمكانها مغادرة المستشفى إذا لم تظهر صورة الأشعة سوى التواء الكاحل.

وشعرت بنوع من الانتصار وهي تتصور سنكلير يعود لزيارتها فلا يجدها.

لم يسرّ سنكلير عندما قال له بوب شيفرز: «آسف، ولكن لا يمكننا ابقاءها هنا».

- لِمَ لا؟

- ببساطة يا سنيك، حالتها جيدة بما يكفي لإخراجها، وهذا ليس فندقاً.

- هل أنت بحاجة إلى السرير؟ إذا لم تكن بحاجة إليه، دعها في المستشفى لليلتين أخريين وأنا سأدفع الكلفة.

- أنت تعلم أن المسألة ليست مسألة نقود. إذا شاءت هي أن تبقى فسيختلف الأمر. يمكننا أن نبقيها تحت المراقبة، لكنها لا تريد ذلك ولا أرى سبباً يمنعها من الذهاب إلى بيتها.

عندما رأى سنكلير أنه عاجز عن تغيير رأي بوب من هذه الناحية، جرب طريقة أخرى: «حسناً، تقبلت فكرة أنها قادرة على الخروج من الناحية

الجسدية لكن هل فكرتِ في حالتها النفسية؟ ألم تر فيها عدم «بران»؟».

ـ كلا، في الواقع. لعلها مراوغة بعض الشيء، ولكن على ضوء الأحداث الأخيرة. . . الاصطدام. التحقيق والمحاكمة، والآن سقوطها هذا. . . أجد أنها تواجه الأمور بشكل جيد نوعاً ما. في الواقع، أنا قلق عليك أكثر يا سنيك.

ـ شكراً.

ـ أنا جاد. فأنا أعلم أن تقبّل موت كيت كان صعباً عليك. لكنني أشك في أن هذه الفتاة قادرة على أن تخبرك بشيء يجعلك تشعر بتحسّن.

ـ أنا لا أريد أن أشعر بتحسن. أريد الحقيقة فقط.

هز بوب رأسه باستسلام: «حسناً، سأدعك تتحدث إليها مرة أخرى قبل رحيلها. لكن لا تقلقها فهي ما زالت تُعتبر مريضة».

وسار سنكلير إلى الباب، فناداه بوب قائلاً: «ربما شيء من الظرف لن يذهب سدى».

يا لها من نصيحة سخيفة! لكن سنكلير رفع يده شاكراً.

خرج من مكتب بوب إلى مكتب الممرضة المسؤولة وأخبرها برغبته في زيارة المريضة.

قرع الباب ثم دخل الغرفة. كانت تايري تجلس في كرسي متحرك وقد ارتدت ملابس الليلة الماضية نفسها، تنتظر إطلاق سراحها. رأى حول كاحلها ضماداً خفيفاً، وكانت تنتعل حذاءً خفيفاً استعارته من الممرضات، بما أنها وصلت إلى المستشفى حافية القدمين.

عندما رأته قالت: «هذا أنت».

ولم تكن هذه بداية مشجعة لحديث فكيف إذا كان الحديث كريهاً؟ على أيّ حال، حاول أن يظهر بعض الاهتمام: «كيف حال كاحلك؟».

هزت كتفيها: «سوف أعيش. . . آسفة إذا خاب أملك».

أخذ نفساً عميقاً. كلا، لن يكون الأمر سهلاً. فقال بلهجة مهادنة «أخشى أننا لم نفهم بعضنا بعضاً. كل ما أريده هو أن نتحدث، ولا أدري

لماذا تملكك الخوف الليلة الماضية. . .؟».

فقاطعته: «رجل غريب يتصل بي في وقت متأخر من الليل مدعياً أنه والد كيت وأنه على وشك أن يقف أمام باب بيتي. ألا تعرف لماذا يخيفني ذلك نوعاً ما؟».

ـ الساعة الثامنة ليست وقتاً متأخراً، وأنا والد كيت. ماذا ظننت؟ أنني سأدخل بالرغم منك؟ لقد بالغت في ردّ فعلك.

سكتت لحظة فتصور أنها تفكر في كلامه. ولعلها تفكر في الاعتذار لكنها رفعت حاجبيها وهي تسأله: «هل نتحدث الآن من تفاهم؟».

أخذ نفساً عميقاً ليمنع نفسه من الصراخ، فهي حقاً أكثر الفتيات إثارة للسخط. وأخيراً سألها: «هل كل شيء مزحة بالنسبة إليك؟».

ـ غالباً. لكنني أراك تواجه الحياة بشكل جاد.

وعبست تقلد ملامحه العابسة، ثم تساءلت كيف أن والد كيت بالتبني في الأربعين ولا يشارف على السبعين؟

ـ لا بدّ أنك لم تجدي الكثير مما يضحك في الأسبوعين الماضيين.

ـ ربما لا، ولكن إذا أملت أن تراني منهارة فقد عثرت على الفتاة الخطأ. لقد سبق وعشت أوقاتاً أكثر صعوبة.

ـ أحقاً؟ هذا يثير فضولي.

ألقت عليه نظرة استخفاف: «لو شئت أن أروي قصصاً باكية، لقصدت محللاً نفسانياً».

تساءل سنكلير عما إذا كان مظهرها الخشن مجرد مظاهر وحسب: «يمكن ترتيب هذا الأمر. لو سألت بوب، لكان. . .».

ـ بوب؟

ـ أعني دكتور شيفرز.

ـ هل هو صديقك؟

ـ زميلي.

ـ حسناً، سمح لي بوب بالخروج من المستشفى ولم يحاول احتجازي.

كظم سنكلير غيظه، فهو لم يتعوّد على مثل هذه المعارضة. وحدّق بشدة إلى الوجه المائل نحوه. كانت ملامحها دون عيب وبدت صغيرة السن من دون ماكياج. لكن شفتيها الممتلئتين كانتا ملتويتين بوقاحة كما بدت عيناها الخضراوان ذكيتين أكثر منهما بريئتين.

طرح جانباً أيّ محاولة لإظهار المودة وشرع في تصعيب الأمور عليها: «وافق بوب على أن تخرجي بشرط بقاءك تحت المراقبة. لذا، أنت بحاجة إلى شخص يتحمل مسؤوليتك».

أتراه يتطوّع لذلك؟ لم تصدق ذلك. فالنفور بينهما متبادل.

وأضاف: «والداك، مثلاً...».

ـ غير موجودين.

ـ ماذا؟

قالت وهي تحملق فيه وكأنها تتحداه أن يجرؤ على أن يظهر لها العطف: «ليس لي والدان».

أتراها تكذب؟.

ـ لابد أن لك بعض الأقرباء.

ـ هل لابد من ذلك؟

قالت هذا بلهجة متحدية، ثم تابعت بلهجة مأساوية ساخرة: «لا. أنا وحدي فقط. مسكينة تاي الصغيرة اليتيمة، إنها وحيدة في هذا العالم».

فهم سنكلير أنها لم تكن تتطلع إلى العطف، وكان هذا من حسن الحظ.

ـ أصدقاء إذن؟

كان لتاي أصدقاء في العمل وخارجه، لكنها لم تشأ أن تورّط أياً منهم في هذا. كل ما كانت تريده هو أن تذهب إلى بيتها وتصعد إلى سريرها لتنام مدة أسبوع. لكنه كان ينتظر منها أن تذكر اسماً ما، فقالت: «مدير أعمالي ليلي غراي. هل أرضاك هذا؟».

ـ وهل ستتمكنين من البقاء في رعايتها؟

ـ في رعايته... فقد قلت مدير وليس مديرة أعمالي واسمه ليلي. سيأتي

للمكوث معي.

فقال بشيء من الجفاء: «فهمت».

فتمتمت: «أشك في ذلك».

ـ هل أنتما على علاقة حميمة؟

ـ ليس بشكل خاص، فهو يعيش في لندن.

ـ أعني...

ـ أعرف ما تعنيه.

ورفعت إليه عينين متمردتين تخبرانه بأن يلتزم بشؤونه الخاصة. قابل نظراتها من دون أن يعتذر، وبقي يتأملها وكأنها مخلوق جديد يراه.

انتظرت أن يحوّل نظره أولاً فهذا ما يفعله الناس عادة، لكن ليس هذا الرجل. كانت عيناه بزرقة سماء الشتاء الباردة، ومع ذلك شعرت بالسخونة تكتسح جسدها بأكمله. لانت هي أولاً، لكنها أخفت هذه الحقيقة بأن توجهت بكرسيها ذي العجلات إلى الهاتف بجانب السرير.

طلبت تاي رقم هاتف مدير أعمالها فأجابها المجيب الآلي.

ـ لس... حبيبي. أنا تاي. أحتاج إليك لتبقى معي بضعة أيام. أعدك بأن أخبرك كل شيء حال وصولك.

وتعمّدت أن تطلق ما اعتبرته ضحكة مثيرة، ونفخت قبلتين في الهاتف ثم وضعت السماعة.

كان هدفها أن تعطي سنكلير فكرة خاطئة عنها ومن حملقته فيها عرفت أنها نجحت في ذلك.

التوى فمه قليلاً: «أفهم من (لس... حبيبي) أنه من غير المحتمل أن يرفض هذه الدعوة».

فبادرته من دون تفكير وهي تزم شفتيها: «وهل كنت سترفض لو كنت مكانه؟».

لم تتوقع جوابه لكنه جاء بسرعة مهينة: «نعم. حتى لو كانت الفتاة جذابة مثلك يا آنسة نيمو، إلا أنها لا تجذبني إذا كانت منحلة».

www.romancie.com

كان بإمكانها أن تقول له إنها ليست منحلة، لكنها رأت أن تغيير الموضوع أكثر حكمة، فقالت: «هل تعرف رقم أي شركة سيارات أجرة؟».

هز رأسه: «سأوصلك إلى بيتك».

كان هذا العرض غير متوقع بقدر ما هو غير مرغوب فيه: «سأكون مرتاحة تماماً في سيارة الأجرة».

ـ لا أوافقك الرأي. فأنا أنوي الانتظار في الكوخ حتى يأتي مديرك.

حدّثتها لهجته بأنّ الموضوع غير مطروح للمناقشة. فيما استدار ليمسك بقبضتي كرسيها ذي العجلات.

قررت عدم مجادلته فهي متعبة على أيّ حال. إن الحديث مع هذا الرجل مرهق. وتمتمت باحتجاج: «يمكنني أن أسير».

ـ إذا شئت أن تستدرّي عطف الناس، فأظن أنّ بإمكانك ذلك.

كلامه هذا أقفل فمها نهائياً. فهي تكره أن تستدر العطف وسمحت له أن يدفعها إلى المصعد.

اتجهت العيون كلها نحو تاي، فأدركت أن شخصيتها لم تعد سراً.

تملكها الارتياح وهي ترى سنكلير يجتاز المكان من دون تردد وكأنه صاحبه أو شريك فيه.

دفعها إلى الخارج إلى موقف السيارات واتجه مباشرة إلى سيارة فخمة للغاية. كانت من النوع الذي يبدو على الفور أنه له... بلونها المتحفظ وطرازها المحتشم الذي يتوخى الراحة قبل المباهاة.

قالت بلهجة بان فيها عرفان الجميل: «شكراً».

بدت عليه الدهشة وكأنه يسألها (لما الشكر)؟ لكنه قال: «أتحتاجين لمساعدة في الصعود إلى السيارة؟».

هزت رأسها واستعانت بذراعيها لترفع نفسها عن الكرسي. كان كاحلها يؤلمها لكنها استطاعت أن تحتمل الألم بينما فتح لها باب السيارة لتصعد.

جلست مغمضة العينين، راجية أن ينتبه وضعها عن الحديث معها إلى

أن يصلا إلى بيتها.

شعرت بسنكلير يصعد إلى السيارة، ثم ينطلق بها، لكنه لم يسر طويلاً قبل أن يستعمل المكابح فجأة.

انتصبت جالسة متنبهة حين توقفا قبل الوصول إلى البوابة حيث رأت مجموعة من الناس محتشدة على الجانب الآخر من الطريق.

قال سنكلير ناطقاً بمخاوفها: «أظنها الصحافة».

ـ لا تنظر إليّ.

لكنه استمر ينظر إليها، وقال: «لا بد أن أحدهم اتصل بالصحافة».

فأدارت عينيها: «أيعقل أن أتصل بصحيفة شعبية لأطلب أن يأتوا ويصوروني خارجة من المستشفى في حالتي هذه؟».

زمّ شفتيه قبل أن يطلق بوق السيارة لينبّه الحارس عند البوابة.

كان الحشد قد لاحظهما، فتسلق بعضهم البوابة عندما كان سنكلير يشير إلى الحارس بأن يفتح الطريق. راحت البوابة تنفتح ببطء يثير السخط. وعندما انفتحت شق سنكلير طريقه ببطء، مرغماً الصحافيين على التراجع.

كانت تاي واعية لأضواء آلات التصوير وللأيدي التي راحت تضرب سطح السيارة لكنها جلست متصلبة. كانت تعلم بالخبرة أنها إذا غطت وجهها أو غاصت إلى أسفل، فستبدو الصور أسوأ بكثير... وكأنها مخبولة أو خجولة أو خائفة.

ودّ سنكلير أن يبتعد بسرعة لكن عناوين الصحف تراءت له فأبطأ وهو ينعطف نحو الطريق الرئيسي.

راحت الأصابع تطرق زجاج النافذة محاولة لفت انتباهه، وآلات التصوير تلمع بشدة أمام زجاج السيارة الأمامي والأيدي تحاول فتح الأبواب التي سبق أن أقفلها.

لم يستمر ذلك طويلاً لكنه بدا كهجوم حيوانات مفترسة قبل أن يتمكن أخيراً من الوصول إلى الطريق العام والابتعاد سريعاً.

تركه ذلك متوتراً وغاضباً فسأل بلهجة لاذعة: «هل حصلوا على صور

www.elromancia.com

جميلة؟»

فهمت تاي الإتهام لكنها لم تجب. كانت ترتجف في داخلها.

وأضاف كما لو أنها لم تفهم ما يعنيه: «لم تزعجي نفسك بإخفاء وجهك».

- وأدعهم يرونني منكمشة من الخوف كالحيوان؟

حلوة حنون مرحة... هكذا وصفها ابنه بالتبني ذات يوم. لم يصدّقه حينذاك، وبدا له الآن أنه كان مخطئاً بشكل يدعو للشفقة.

وأضافت: «لقد التقطوا صورة جيدة لك وأنت تزمجر».

- ماذا تعنين؟ هل كان عليّ أن أبتسم لهم وألوّح بيدي؟

- كان عليك ألاّ تفعل شيئاً. يمكن ألا يعرفوني... فقد رأيت مظهري المهني، أليس كذلك؟

- مظهر المومس الشقراء؟ نعم.

أجفلت تاي قليلاً لهذا الوصف، لكنها قررت تجاوز ملاحظته. فهي تتفهّم سبب غضبه الحقيقي، إذ يكره اهتمام الصحافة. حسناً، إنهما متفقان على هذا الأمر على الأقل.

عندما لم تجب، نظر إليها في المرآة فرآها تحدّق أمامها شاردة.

- إسمعي. أنا آسف.

- علامَ الأسف؟

لم يجد من اللائق تكرار الصفة: «على ملاحظتي الأخيرة».

لكنها اكتفت بأن هزّت كتفيها: «كما تزرع تحصد».

افترض سنكلير أن هذا يمثل تغيراً في لهجتها، لكنه لم يكن ما توقعه من الآنسة تاي نيمو، فتاة الروك.

لكن ماذا توقع؟ لقد رآها ذات مرة على التليفزيون، بشعر أشقر مجنون وتنورة جلدية سوداء، وبلوزة، لكنه لم ينتبه إليها جيداً. كان اهتمامه منصباً على عزف كيت في خلفية الصورة. لقد ظهرت بهذا الشكل نفسه في المحكمة أمس، مع تغيير بسيط في الملابس. وكانت أجوبتها مختصرة في المحكمة،

فتصوّر حينذاك أنها غبية تماماً.

وأخذ يتساءل عما هو مصطنع وما هو حقيقي: «إنه ليس اسمك الحقيقي، أليس كذلك يا تاي نيمو؟».

عادت تاي بأفكارها من مكان ما، وضحكت باختصار: «وهل كنت لأخترع شيئاً كهذا؟».

بدا هذا محتملاً لسنكلير: «معظم أسماء النجوم تبدو لي غريبة هذه الأيام».

رأت أنه على حق، ولكن هل عليه أن يقول ذلك بمثل هذا الجفاء؟

وسألته: «كم عمرك؟».

- كم عمري؟ لماذا؟

- مجرد فضول. مادمنا نتبادل الأسئلة الشخصية.

زمّ شفتيه وهو يقول: «ثمانية وثلاثون».

فبدت عليها الدهشة: «أحقاً».

أصبح فمه خطاً نحيلاً مزموماً. كم عمره برأي هذه الفتاة، تباً لها؟ خمسون؟ لطالما تصوّر أنه يبدو بسنّه الحقيقية.

شعرت أنها لمست منه وتراً حساساً لكنها لم تهتم، فهو لا يبدو بهذه السن. لكن أتراه يتعمد أن يبدو كبيراً في السن؟

- إذن فهو اسمك؟

- نعم، إنه اسمي. و«تاي» هو اختصار لاسم «تايري» وهي جزيرة في اسكوتلندا.

- نعم، أعلم هذا.

- لقد نشأت في مؤسسة قريبة من تلك الجزيرة.

- مؤسسة؟ واسمك «نيمو»؟

- اختارت لي المؤسسة شهرتي هذه، ويبدو أن معناها (لا أحد).

- نعم. باللغة اللاتينية.

كانت واثقة من أنه يجيد هذه اللغة الميتة فتابعت تقول: «وهذا يبدو

www.elromancia.com مرومانسية

ملائماً فقد وجدوني على عتبة بابهم بعد ولادتي بساعات».

عندئذٍ لم يخف عدم تصديقه: «أتقولين إنك لقيطة؟».

حفّت تاي أنفها لهذا التعبير. حسناً، ما الذي كانت تتوقعه منه؟ الإحساس؟

وتمنت لو أنها التزمت بما هو مدوّن في أوراقها الرسمية. وهو أنها فقدت والديها في طفولتها، فأمضت سنوات المراهقة في رعاية مؤسسة «غلاسكو» حيث أتمّت دراستها قبل أن تحصد الشهرة والثروة.

سألها: «هل اخترعت هذه الحكاية؟».

تساءلت عما جعلها تفضي إليه بأسرارها، وأجابت: «هذا ممكن».

افترض أن هذا يعني نعم، فقال: «تماماً كما فعلت باسمك، كما أظن».

ـ وهل هذا مهم؟ (الورود لها الرائحة نفسها مهما تنوعت نشأتها).

ها هي تستشهد بشكسبير... أليس لمواهب هذه الفتاة نهاية؟

سألها فجأة: «هل تكتب الفرقة أغانيها بنفسها؟».

طرفت بعينيها استغراباً لهذا التغيير ثم أجابت: «كتب ستو معظم الأغاني الناجحة، لكنني كتبت مع كيت اثنين للألبوم الجديد... هل كان ابنك بالتبني حقاً؟».

ـ أنا لا أكذب.

على عكسها هي... هل كان قوله إهانة لها؟ حسناً، إنه على صواب. فقد نفعها الكذب أكثر من قول الحقيقة كما اكتشفت.

قالت بفتور: «لم يتحدث كيت عنك قط».

فقال متوتراً: «لكنه تحدث عنك».

فعبست. ترى هل قال كيت أشياء سيئة عنها؟

ـ ثم؟

ـ لا شيء.

أراد سنكلير أن يحتفظ برأي كيت فيها لنفسه بدلاً من أن يطلع هذه

الفتاة على مقدار تأثره بها. وقررت هي ألاّ تلحّ عليه، فقد اقتربا من الكوخ.

إذا أصر على أن ينتظر حضور مدير أعمالها فذلك شأنه. أما هي فستلجأ إلى غرفتها.

عادت تتأمل المشاهد التي يمران بها، وعندما ثقل جفناها، أسندت رأسها على النافذة وغطت في النوم.

لم يحتج سنكلير لأيّ ارشادات، فقد سبق وجاء إلى كوخها. كان كيت قد أعطاه العنوان، وبعد يومين من مقتله قام سنكلير بتفتيش المنطقة الريفية خارج ويندسور للعثور على «كوخ آيفي». عندما وجده أخذ يقرع الباب حتى آلمته أصابعه واقتنع أخيراً بأن الآنسة نيمو لا تتواجد دوماً في بيتها.

أراد حينذاك الشيء نفسه الذي يريده الآن، وهو تفسير لما حدث تلك الليلة. لكنه يفكر الآن في تغيير الخطة. ربما إذا اعتمد لهجة طبيعية أكثر، سيتمكنان من تبادل حديث أكثر تعقلاً قبل حضور المدير.

تساءل سنكلير عن شكل (الحبيب لس). ثمة علاقة حميمة حتماً، لكن لعلها تعاشر نصف الرجال الذين تعرفهم، بمن فيهم كيت.

نظر إلى جانب وجهها. إذا كان ضميرها يعذبها، فهذا لا يبدو عليها. كانت تنام بصفاء، وأهدابها الطويلة تظلل بشرتها الشاحبة النقية. أي فتاة أحبها كيت: نجمة الروك الشقراء، أم هذه المخلوقة ذات العينين الخضراوين التي ينطق وجهها ببراءة كاذبة؟ لطالما كان كيت رقيق القلب، كما خطر لسنكلير وهو يتذكر حين رآه للمرة الأولى. كان صبياً خجولاً في الخامسة. لقد اعتاد عليه على الفور، رغم أن الأمر لم يكن مهماً فحبه الجنوني لنيكول كان سيجعله يتزوجها من دون أي اعتبارات أخرى.

لم يصدق كم كان أعمى، فقد حكم على ذلك الزواج بالفشل منذ البداية.

كانا مختلفين جداً، انجذابهما إلى بعضهما البعض مثير للجدل حقاً. كانت نيكول تنشد علاقة هادئة قوية متعقلة، فيما انجذب هو إلى حيويتها الفائقة. لكن الحب لم يعش بعد عام أو عامين من لعب دور الأم وزوجة

الطبيب، فأخذت نيكول تتململ باحثة عن الإثارة. وحاول هو أن يعوّد نفسه على سلسلة الحفلات وعادتها في إثارة الجدل من أجل الإثارة. وبما أنه كان يعمل لساعات طويلة تملكه الشعور بالذنب فوثق بصداقتها مع جاك أندروز، لكن لعله كان يعلم في أعماقه.

وعندما هربت، تملكه شعور بالارتياح البالغ امتزج بالغضب. تقبّل، من ناحية، هذا الانفصال الذي أصبح لا مناص منه، وصبّ اهتمامه على كيت الذي لم تأخذه نيكول معها. ولحسن الحظ، أنه أحب ابنه بالتبني البالغ من العمر سبعة أعوام.

مرت أربعة أشهر قبل أن تعود نيكول نادمة طالبة الصلح. لا بد أنه كان مجنوناً عندما وافق.

لكن الأمر لم ينجح طبعاً.

كان لا يزال طبيباً مبتدئاً يقوم بعمل شاق، ومازالت هي تعشق الحفلات. حينذاك أصبح الانفصال أسوأ، إذ فقد كيت. ولعله استطاع أن يحتمل فراق الصبي لو أنها لم تسارع إلى تركه مع والديها المسنين ومن ثم في مدرسة داخلية.

انقطع كل اتصال بينهما وانتقلت نيكول إلى عالم أكثر إثارة. كانت مع سائق سيارة سباق حين ماتت.

كان سعيداً بعودته إلى حياة كيت، لكنه سرعان ما أدرك أن الوضع تغيّر. فكيت الذي عرفه كان صبياً يحب صيد السمك وشراء دراجات نارية من البلاستيك. أما كيت الجديد فمراهق يصعب التفاهم معه، ثائر بهدوء واهتمامه ينصب فقط على الموسيقى وقيثارته.

لقد حاول لكن من دون فائدة... لقد فات الأوان. حاول سنكلير أن ينبهه ويحذره فكان كيت يستمع إليه بأدب، لكنه فشل في أن يؤثر فيه. وقد ترك المدرسة حالما تمكن من ذلك.

لم يستطع سنكلير أن يمنعه من سلوك الطريق الخاطىء فرضي بأن يبقى على اتصال معه مهما كان ذلك متباعداً. فكان كيت يأتي إليه أحياناً، مفلساً

جائعاً، فيأويه ويطعمه مدة أسبوعين أو نحوهما، ثم يعود الفتى ليختفي بعد ذلك في لندن.

عندما أصبح كيت عضواً في فرقة موسيقية، حاول أن يشعر بالسرور من أجله لكن سرعان ما تبيّن له أن نمط حياة هؤلاء الموسيقيين لم يكن ذلك الحلم الجميل. وراح يراقب تصرفات كيت الأخرى ليكتشف أنه ضلّ طريقه وانجرّ خلف المخدرات.

ولم يكن بحاجة لمقابلة تاي نيمو، مغنية الفرقة، ليقتنع بأن لها دوراً في سقوطه.

هل انجلب كيت إليها بسبب ضعفها الظاهر؟ وتلك الحكاية السخيفة عن العثور عليها على عتبة باب بعد ولادتها بساعات؟ بد له هذا محتملاً. وتصور سنكلير أن تاي نيمو أغوت كيت الذي لم يكن في طفولته غلاماً شهوانياً.

وبعد ما قرر أخيراً أنها لن تفعل الشيء نفسه به، أيقظها مع اقترابه من بيتها، فأخذت تطرف بعينيها متمتمة باحتجاج قبل أن ترى أنهما أوشكا على الوصول إلى كوخها.

كانت تاي قد اشترت الكوخ لتجد فيه بعض الراحة من الروك وطراز الحياة الذي تعيشه.

قالت ترشده وقد نسيت أنه كان هنا الليلة الماضية: «هناك إلى اليسار».

راح يبطىء في القيادة استعداداً للتوقف عندما رأى ثلاث سيارات على وشك التوقف، فأسرع يدوس على البنزين متجاوزاً السيارات.

ـ هيه... أنت...

بدأت تاي تحتج قبل أن تدرك معنى وجود هذه السيارات: «الصحافة؟ لا، هذا غير ممكن».

ـ هذا حتماً ما يبدو.

قال سنكلير هذا بعد أن قطع مسافة نصف ميل ثم توقف في مدخل حقل.

استقامت تاي في جلستها مجدداً. من الذي أخبر الصحافة؟ كانت تفترض أن قلّة تعرف مكان كوخها، ومع ذلك عثر عليه الرجل الذي بجانبها. عندئذ، سألته: «كيف عرفت عنوان كوخي؟».

ـ عندما انتقل كيث من شقته، أرسل إلينا عنواناً... وكان عنوانك.

(إلينا)؟ لاحظت تاي ضمير الجمع وافترضت أنه متزوج. فيما تابع متوتراً: «أنا لم أخبر أحداً عنه إذا كان هذا ما تقصدينه».

ـ ما دمت تقول هذا.

لكنها لم تقتنع تماماً.

استدار إليها ورمقها بإحدى نظراته المتعالية: «أتعتقدين حقاً أنني أرغب في أن يرتبط اسمي وسمعتي باسمك وسمعتك؟ أنا استشاري في طب الأطفال ولست لاعب كرة عقلي في قدميّ».

أجفلت تاي للهجته، فردت عليه بحدة: «لا تخف. لا أتصور أنّ أحدهم قد يظن أنني أخرج مع شخص مثلك».

فقال من دون أن يفكر في ما يتضمنه قولها هذا من إهانة: «هذا حسن! والآن، ما الذي تقترحين أن نفعله؟».

(نفعله)؟ ضمير جمع آخر، هو وهي هذه المرة. وأدهشها هذا. يكفي أن ينزلها بجانب الطريق ويتركها تعود لتواجه العاصفة وحدها.

لكنه يريد شيئاً منها. يريد أن يعرف ما حدث ليلة مقتل ستو وكيث.

يمكنها أن تشفي غليله بسهولة. يمكنها أن تكرر عليه كل قول وحركة وجملة وحرف حتى تجعله يتمنى لو أنه لم يسألها قط. لكنها ارتبطت بعهد سيبقى سارياً حتماً إلى ما بعد الموت.

سألها: «إذا أردتني أن أعود بك إلى الكوخ فسأفعل».

هزت تاي رأسها. لن تستطيع أن تواجه مرة أخرى ما رأته في الأمس من رجال الصحافة على درجات المحكمة.

ـ هل لك أن تأخذني إلى أقرب محطة؟

كان واضحاً أنها تخلت عن فكرة الذهاب إلى بيتها. سألها: «إلى أين

تريدين أن تذهبي؟».

ـ لا أدري. ربما إلى لندن. يمكنني أن أحجز في فندق.

فنظر إليها: «هل لديك نقود؟».

ـ طبعاً لدي نقود، لكنها ليست معي... ظننت أن بإمكانك أن تقرضني بعض المال.

ـ وهل مازلت تظنين ذلك؟

لم يكن رده يبشر بالخير فكبحت آهة ضيق: «هل تريدني أن أتوسل إليك؟».

فرفع حاجبه ساخراً: «وهل ستتوسلين؟».

ألقت عليه نظرة بعيدة عن التوسل وأجابت بحدة: «كلا».

ـ يبدو إذن أننا وصلنا إلى طريق مسدودة.

كان يحاول أن يضايقها فقط قبل أن يشغّل المحرك، لكنه لم يتوقع منها أن تفتح باب السيارة فجأة وهي تقول: «لن أعود».

ـ انتظري.

ومد يده بسرعة ليمسكها لكنها سبقته في النزول. كانت قد نسيت كاحلها المصاب لكنها أحست بالألم حالما لمست قدمها الأرض.

نظر إليها غير مصدّق وهي تعرج على جانب الطريق من دون قبعة ولا معطف ولا حقيبة يد. ورغم أن الصيف حلّ باكراً، إلا أن مطراً خفيفاً راح يتساقط.

لعلها مجنونة ومن الأفضل أن يدعها تذهب، لكن لما وجد نفسه يختطف معطفه ثم يلحق بها؟ لم يجد سنكلير جواباً.

ولم تتصدق عليه بنظرة وهو يسير بمحاذاتها بل قالت بصوت كالفحيح: «ابتعد عني».

فقال وهو يمدّ يده ليمنعها من السير: «هذه سخافة».

فعادت تقول وهي تنفض يده عنها: «ابتعد عني إذن».

لكنه بقي يجاريها في السير قائلاً: «ملابسك مبللة، كما أن كاحلك

يؤلمك دون شك»

ـ أحقاً؟

كان غضبها الشديد قد أنساها البرد والألم.

ـ هيا بنا يا تاي، دعينا نعود إلى السيارة.

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يخاطبها فيها باسمها الأول، ما جعلها تبطىء في سيرها وتنظر إليه. ارتسم على وجهه تعبير تسلية، فنظرت إليه بحقد. وعندما أراد أن يلفها بمعطفه، نفضته عنها وهمّت بمتابعة سيرها لولا أنه قبض على ذراعها ليمنعها من ذلك.

وحين حاولت أن تنفض يده عنها، أمسكها بشدة فشعرت بالألم.

قالت بحدة: «دعني أذهب».

فتجاهلها: «إننا عائدان إلى السيارة».

ضربت قدمها بالأرض: «سيكون عليك أن تحملني».

بدت صغيرة الحجم للغاية كما كانت نحيفة.

وضع المعطف حولها أولاً وهو يتمتم: «تمسّكي بي».

وانحنى وحملها.

أطاعته في البداية ذاهلة، لكنه عادت ورفضت إطاعته حين عاد بها مرغماً إياها على أن تشبك أصابعها خلف رقبته، فيما أخذ رأسها يصطدم بصدره الصلب. وسرعان ما تحوّل المطر الخفيف إلى أمطار غزيرة، فشدّها إليه وكأنه يريد أن يحميها من قسوة عوامل الطبيعة.

عندما وصل أخيراً إلى السيارة، كان قد تملكها شعور غير عادي بالعجز فيما تسارعت خفقات قلبها وارتفعت حرارة جسمها تتحدى برودة المطر.

كان سنكلير من ناحيته يقاوم بعض المشاعر المختلطة. لم تكن هذه الفتاة تعجبه، فهي ليست من النوع الذي يحبه، لكنّ ذلك لم يمنع جسده من أن يتجاوب مع التصاقها به.

وضعها على الأرض بعناية فرفعت إليه عينيها الخضراوين الكبيرتين. ظلّ يحتضنها وقد لاحظ، لأول مرة، وجهها ذا الجمال الطبيعي ما جعله

ينسى كل الأمور الأخرى عنها ولا يطيع سوى غريزته.

كان بإمكانها أن تشيح بوجهها فقد حانت لها الفرصة لذلك. فكرت في الواقع في أنه سيعانقها لكنها نبذت ذلك بجنون عندما رأت رأسه يقترب منها

من كان يظن أن بإمكان هذا الرجل أن يعانق بهذا الشكل؟ عناقه البطيء الحنون بدّد ذعرها، وأثار مشاعرها فغرقت في بحر من المشاعر المتضاربة

تشبثت بحبل النجاة الذي لم يكن سوى كتفيه حتى عادت إلى رشدها، ورأت نفسها ملتصقة به

لم يعد يعلم من تكون، ومن هو! نسي كيت الذي ينتظر الثأر... حتى أنه نسي المطر، ولم يعد إلى رشده إلا بعد أن شعر بجسمها مبتلاً.

عندئذ، أخذ يتساءل نفسه عما يفعله! لكنه لم يحاول أن يجيب بل ابتعد محبطاً غاضباً

***

٤ ـ الفأرة المثيرة

تركها بشكل مفاجىء جعلها تسقط على السيارة. بحثت عيناها عن عينيه فرأت اضطرابها يعود فينعكس فيهما. ثم فتح السيارة ودفعها، تقريباً، إلى مقعدها دفعاً.

جلست وهي ترتجف. فكرت في أن عليها أن تغضب لكن ذلك لم يكن من طبعها وعلى كل حال كان الوقت قد فات، فلأول مرة، تشعر بكل ما قرأته في قصص الحب من المشاعر المعتادة مثل تسارع خفقان القلب. دوار الرأس، تحرك الأرض وذلك مع رجل كرهته من أول نظرة

ألقى نظرة مختصرة إلى ناحيتها، لكنه لحسن الحظ، لم يقل شيئاً وهو يبحث في كيس الأدوات الرياضية في المقعد الخلفي

ـ خذي.

واستقرت في حجرها منشفة تبعتها كنزة رجل رياضية. «اخلعي ثيابك المبتلة على الأقل».

بدت مشاعرها على وجهها. هل يعتقد أنها مستعدة لخلع ثيابها أمامه بعد عناق واحد.

قرأ سنكلير أفكارها فزمّ شفتيه، ثم فتح بابه وقال. «سأمنحك دقيقتين».

من حسن الحظ أن المطر كان قد توقف. ونظرت إليه حتى ابتعد عدة أمتار ثم وقف متجهاً بوجهه بعيداً عنها ويداه في جيبيه. فخلعت القميص المبتل بأسرع ما تستطيع ثم نشفت نفسها بالمنشفة، ثم ارتدت كنزته

ووضعت قميصها في جيب باب السيارة.

كانت كنزته واسعة عليها طبعاً، ومع أنها كانت نظيفة إلا أن بعض رائحته ما زالت فيها. وتساءلت كيف ستغير ملابسها والصحافيون يخيّمون خارج بيتها. وتركته ينتظر نصف دقيقة أخرى قبل أن تضغط على منبه السيارة تأذن له بالعودة.

عند عودته قال بجفاء: «ما كان لي أن أعانقك».

إذا كان هذا اعتذاراً، فهو لم يؤثر في تاي، لأن لهجته كانت خالية من أي ندم كما أن كلمة أسف لم تظهر في قوله على الإطلاق.

ـ هذا صحيح، ما كان لك أن تفعل هذا.

ثم عادت تنظر من النافذة.

تبع ذلك صمت أخذ يتساءل أثناءه عما تتوقعه الآن. لقد اعتذر، كما يظن، ولم يكن واثقاً تماماً مما إذا كان العناق ذنبه وحده.

ووجد نفسه يقول: «ربما لو لم تكوني مثيرة إلى هذا الحد...».

فقالت بدهشة حقيقية: «مثيرة؟ بهذا القميص المقفل والبنطلون الجينز؟».

فأجاب: «كنت أشير إلى طريقة حديثك. طريقتك في المواجهة».

كان على وشك أن يعود إلى الجدل، عدّت تاي إلى العشرة قبل أن تتمتم بصوت خافت: «أحسن من أن أكون متغطرسة على كل حال».

أدرك ما تعنيه، وذهش لمبلغ ضيقه من ذلك. ربما لأنه لمس فيه شيئاً من الحقيقة.

قاوم دافعاً يدفعه إلى رد الإهانة، ثم أشعل المحرك وانطلق بالسيارة في الإتجاه المعاكس.

ـ لن أعود إلى الكوخ.

فأجاب: «ليست هذه نيتي. وكنت سأقول هذا قبل الآن لو سنحت لي الفرصة».

مغرور، مغرور، مغرور!... أثبتت بهذا تشخيصها الأساسي له.

ـ صدقيني، ليس لي رغبة في أن أمثل دور (مرافقك الغامض) في بعض الصحف الشعبية. كيف حال كاحلك بالمناسبة؟

المسافة القصيرة التي سارتها جعلت كاحلها ينبض قليلاً، لكنها هزّت كتفيها: «إنه جيد جداً».

ـ إنه بحاجة إلى إراحة.

أومأت بغموض مركزة اهتمامها على ما سيفعله لكنه كان عند كلمته، فقد مرّ بجانب كوخها دون أن يبطىء.

نظرت إلى بيتها ثم قالت بصوت عال: «كانت هناك سيارة في طريق البيت تبدو أشبه بسيارة مديري».

فقال وهو ينظر إلى ساعة السيارة: «لا يمكن أن يكون تلقى رسالتك ووصل الآن من لندن».

ـ بإمكانه أن يكون في الطريق الآن.

وكانت تاي تعلم أن مديرها متلهف للاستفادة من شهرتها الحالية.

ـ ربما نبهته الصحف إلى الحادث الذي وقع لك.

ـ ربما.

وتساءلت من تراه أخبر الصحافة؟ وكان نفس السؤال يحتل رأس سنكلير: «أم هو العكس، ومديرك هو الذي أخبر الصحف؟».

ـ لس؟ ولكن من أين عرف بما وقع؟

ـ هل لديه مفتاح لكوخك؟

وعندما أومأت إيجاباً تابع يقول: «لكنت وضعت لوحة كتبت عليها (إلى من يهمه الأمر) وذلك بدلاً من زجاج النافذة المكسور».

ـ وهل كسرت أنا زجاج نافذة؟

ـ بل أنا الذي فعلت ذلك لكي أستطيع الدخول. ويمكنك أن ترسلي إليّ فاتورة التصليح إذا شئت.

فقالت ساخرة: «وبذلك تظهر الصحف بالعنوان الكبير: (مغنية بخيلة تقاضي الطبيب المخلّص)».

ـ ما رأيك في أن ننسى النافذة والكلام الفارغ عن المخلّص، ونتفق على ألا نأتي على ذكر هذا الحادث البسيط؟

ـ نعم، لا بأس.

لم يكن لديها مشكلة بالنسبة لهذا: «لكنني أحب أن أعلم لماذا ساعدتني؟».

كان بإمكانه أن يبتعد ويتركها، وهما يعلمان ذلك.

ـ لأنني طبيب.

عبست تاي قليلاً: «أتصور أن مرضاك في العادة، أكثر امتناناً مني».

ودهشت للحدة التي بدت في جوابه الذي كاد يكون صراخاً: «فلنكن صريحين في أمر واحد وهو أنك لست مريضتي».

وحلق فيها فتساءلت عما قاله ليثيره بهذا الشكل.

وببطء، تبلجت لها الحقيقة. غير مسموح للأطباء بمعانقة مريضاتهم، ولهذا يجب أن لا تكون هي مريضته.

حسناً، إنها لن تحاول إثارة المشكلات له: «هذا يناسبني فأنا أفضل أن يكون أطبائي عطوفين».

ـ أو خدومين؟

فهمت تاي مضمون كلامه. فقد كان لدى ستو طبيب يزوّده بما يطلبه من أي مكان. فقالت بصراحة: «أنا لا أتعاطى المخدرات».

عاد سنكلير ينظر إليها فرأى نظرة البراءة المجروحة. يالها من ممثلة!

فقال لا يخفي ارتيابه: «ما دمت تقولين هذا».

ـ آه، فكر بما تشاء!

اعتادت على أن يظن الناس أن المغنية الشعبية هي مدمنة على المخدرات.

وتابعت تقول: «رأيك لا يهمني، وكما تقول، أنت لست طبيبي».

ـ ولن أكون أبداً، حيث أنني طبيب أطفال. والأطفال، في الواقع، لا يميلون إلى أن يكونوا مرضى شاكرين.

ـ لكنني أتصور أن آباءهم يتهافتون عليك.

- أحياناً. ولكن ليس بمقدار التهافت عليك بصفتك نجمة روك.

- أنا لا أعتبر نفسي نجمة، وإذا كنت تظن ذلك النوع من التملق يبهجني فأنت أكثر جنوناً من عدة مجانين طاردوني أثناء العامين الماضيين.

- أنت تبالغين.

- يا ليتني كذلك! لماذا تظن الذعر تملكني عندما اتصلت بي؟ آخر معجب خيّم أمام شقتي في لندن مدة يومين، ثم ابتدأ يرفس الباب عندما أدرك أخيراً أنني لن أدعوه إلى الدخول لتناول كوب شاي. وعندما جاءت الشرطة كان في داخل الشقة يقرع باب الحمام، الذي كنت اختبأت فيه، بشدة وعنف بالغين.

روت هذه القصة بطريقتها الخشنة، لكن سنكلير أدرك أن تلك الحادثة، لا بد صدمتها.

- هل لدى بقية الفرقة معجبون أم لديك أنت فقط؟

- لا أظن ذلك بالنسبة إلى كيت وواين. ولكن كان لدى ستو بعض المعجبين.

- ستيوارت ماكلينان سائق السيارة؟

فأومأت إيجاباً. لا شك أن ستو في قائمة الذين يكرههم أيضاً. لقد كان رأي الشرطة أن ستو كان يتبع كيت قبل أن يفقد السيطرة على موتوسيكله ما تسبب باصطدامهما معاً. ولكن بسبب المخدرات التي وجدوها في جسد ستو، اعتبروه هو سبب الحادثة.

عاد سنكلير يسألها: «لماذا ماكلينان وليس العضوان الآخران في الفرقة؟».

- ربما لأن ستو هو الأكثر إحساساً، كما أنه كان يكتب كلمات أغانينا. هل سمعت أياً منها؟

- ليس بما يكفي لحل رموز الكلمات.

- حسناً، إنها تميل إلى العمق والكآبة، ما جعل بعض المعجبين يرونه يتجاوب مع أحاسيسهم.

- ليس المعجبين فقط، فقد كان كيت يصف ماكلينان بأنه لامع ونافذ البصيرة أيضاً.

كان في صوته نبرة ذات مغزى ذكرت تاي بالسبب الذي جعل هذا الرجل يدخل حياتها. كان يريد أن يعلم الظروف التي قادت إلى هذا التصادم، ورفضت أن تعلق.

وسألها فجأة: «كنت متورطة معه، أليس كذلك؟».

لم تكن واثقة من يعني، فسألته: «أتعني كيت؟».

اعتبر سنكلير سؤالها وسيلة للخداع أكثر منه إنكاراً، فقال: «ومن غيره يمكن أن أعني؟».

- لا أدري.

- ماكلينان؟ لديك تاريخ معه، هو أيضاً. أليس كذلك؟

نعم، كان لها تاريخ مع ستو، فقد أحبته في الواقع. لكن هذا الرجل لن يفهم أبداً.

وأثبت ذلك حين تابع: «هل هذا ما كان يجري؟ حب بين ثلاثة، لكن واحداً منكم كان يريده بين اثنين؟».

ربما كانت تاي ستكون أكثر سخطاً لولا أن بعض الصحف الشعبية ألمحت للشيء نفسه. واعتبر سنكلير صمتها شعوراً بالذنب: «حسناً؟».

ولكن لا... فقد كانت منهكة فقط: «أنت لا تتوقع مني أن أشرّف هذا السؤال بجواب، أليس كذلك؟».

- بل أتوقع، هذا إذا لم تريديني أن أعود بك إلى كوخك.

هل هو مجرد تهديد فارغ؟ على كل حال، فقد كانا بعيدين عن الكوخ أميالاً. لكن ملامحه كانت جادة للغاية.

وأخيراً أجابت: «كنت أعزّ كيت كثيراً، ولكن ليس بالطريقة التي تعنيها. كان مجرد طفل بالنسبة إليّ».

ربما كان سنكلير ليصدّقها وهو يعلم أنها في الثالثة والعشرين وتبدو أكبر، بينما كيت في التاسعة عشرة. لكنه شعر بأنها تخفي شيئاً.

وكانت قد عادت تحدق من النافذة وتسأله: «إلى أين نحن ذاهبان بالضبط؟».

حتى الآن، لم يقرر سنكلير. ووجد نفسه يقول: «بيتي ليس بعيداً. يمكنك أن تمضي الليلة فيه حتى تقرري أمرك».

ـ نعم، هذا صحيح.

لكن لهجتها اتهمته بدوافع خفية.

منذ ساعة، كان بإمكان سنكلير أن يدّعي بإقناع تام، أن ليس لها أن تقلق، لأنه سرعان ما سيذهب إلى سريره ومعه كتاب جيد بدلاً من فتاة سيئة مثلها. وكان ذلك طبعاً قبل أن يستسلم إلى لحظة جنون ويعانقها.

تابع يقول: «يمكنني أن أستدعي مرافقة حارسة. مديرة منزلي تسكن في القرية القريبة وتنام عندي أحياناً».

لقد عاد إلى عالمه المريح، فبدا جامداً متغطرساً جاعلاً تاي تعتقد أنه لا بد أنه يعيش في قرن آخر، وبالتالي، ستكون آمنة تماماً معه.

ـ هذا يوافقني على أن لا تتصل مديرة منزلك بالصحف.

ـ السيدة إندربي موضع ثقة تماماً.

تساءلت عما إذا كان عناقه اختباراً منه ليعرف كم هي سهلة، وفشلت في الاختبار. حسناً، لو كرر ذلك لن تقبل. سلك طريقاً متعرجاً وبعد عدة مئات من الياردات توقف أمام منزل كان متوارياً خلف جدار عالٍ من الآجّر. وبعد أن دخلا من البوابة، استطاعت تاي أن ترى، بإعجاب بالغ، حجم ذلك البيت الفيكتوري.

قالت دون أن تخفي دهشتها: «هل هذا بيتك؟».

فأومأ: «ما الذي كنت تتوقعينه؟».

لم تكن تعرف لكنها قالت بشيء من الجرأة: «لابد أن المستشار يأخذ أجراً جيداً جداً».

فقال بجفاء: «ليس بقدر ما يأخذ لاعب كرة القدم أو نجم البوب الشعبي. وإذا كنت تتساءلين كيف استطعت شراءه، فالجواب هو أنني

ورثته عن أبويّ».

حسناً، إنه صادق، لكنها كانت واثقة من أنه غني في الأساس.

نزل من السيارة واتجه نحوها: «هل تريدين مساعدة؟».

هزت رأسها. كانت حذرة من أن يلمسها، ولم يلحّ عليها لحسن الحظ، لكنه سار أمامها إلى الباب الأمامي، وتركها تتبعه، وهي تعرج. ثم أبطل مفعول جرس الإنذار بينما وقفت على العتبة تفكر في فرصة تحصل بها على الحرية. يمكنها أن تذهب إلى القرية وتطلب تاكسي رغم أن ذلك سيكون صعباً نوعاً ما لكاحلها الذي سيعوقها ولعدم وجود نقود لديها.

ـ ألا تدخلين؟

دخلت إلى ردهة معتمة. وبينما أخذ يعمل في فرز بريده، أخذت تجيل نظراتها في أنحاء المكان.

ـ سأتصل تليفونياً بمديرة منزلي. المطبخ في آخر الردهة إذا أردت أن تشربي شيئاً.

وأومأ نحو ممر يؤدي إلى مؤخرة المنزل ثم توارى في غرفة أخرى دون أن ينتظر جوابها. ترك الباب موارباً فاستطاعت أن تلمح غرفة تنوء جدرانها برفوف الكتب.

سكتت لحظة، وعندما سمعته يرفع سماعة التليفون اتجهت إلى المطبخ.

على كل حال، هل هي في خطر حقيقي من هذا الرجل؟ إذا كان يريد أن يعاقبها على موت كيت، لكان اغتنم الفرصة الليلة الماضية. كان بإمكانه تركها غائبة عن الوعي عند قاع السلم.

دخلت المطبخ ووقفت لحظة تستوعب ما يحيط بها. كانت الغرفة مشرقة حسنة التهوية، بالغة النظافة والنظام. لا أواني قذرة في الحوض ولا فوضى ولكن خزائن من خشب البلوط.

كانَ في هذا جواب على سؤال واحد لتاي، وهو أن سنكلير غير متزوج حالياً.

تناولت إبريق الماء الساخن، واتجهت لتملأه من حنفية الحوض. مدت

يدها إلى حنفية الماء البارد ثم توقفت في منتصف الطريق وهي ترى عينين تحدقان إليها من خلال النافذة. قفزت فكادت تسقط الإبريق من يدها قبل أن تستطيع رؤية هذا الغريب الواقف في الخارج جيداً. كان صبياً، كما ظنته في البداية، بشعر قصير أشقر قبل أن تدرك أن الوجه كان أكثر جمالاً، ويشبه كثيراً رجلاً معيناً بعبوسه.

أشارت الفتاة إلى الجهة الجانبية فأدركت تاي أن لابد هناك باباً آخر.

كان المطبخ يؤدي إلى غرفة للمرافق العامة حيث كان هناك باب ثقيل. وكان عليها لتفتحه أن تزيح عدة مزالج وتدير مفتاحاً في القفل.

حيّت الفتاة بابتسامة: «مرحباً».

لم تتلق جواباً ووقفت الفتاة لحظة ورمقتها بنظرة سريعة قبل أن تهز كتفيها وتمضي في طريقها. تبعتها تاي إلى المطبخ فسألتها الفتاة: «أين أبي؟».

فأجابت تاي باتزان: «في مكتبه».

السؤال الثاني كان أكثر فظاظة: «ومن أنت؟».

فكرت تاي في ألا تجيب على هذا السؤال. وأخيراً قالت: «مجرد صديقة».

فقالت الفتاة هازئة: «تعنين عشيقة؟».

كان بإمكان تاي أن تشعر بجرح في كرامتها لكنها أدركت أن هذه الوقاحة ليست إلا شعوراً بعدم الأمان.

حاولت أن تجعل من الأمر نكتة فقالت: «وهل أبدو من النوع الذي يحبه أبوك؟».

فأجابت الفتاة دون أن تبتسم: «ليس كثيراً، لكن ذلك لا يثبت شيئاً. الرجال الذين في عمر أبي غالباً ما يبدأون في تفضيل النساء الصغيرات».

ـ أحقاً؟

ـ كم عمرك؟

ـ ثلاثة وعشرون.

ـ لست صغيرة السن جداً، إذن؟

ربما بالنسبة إلى فتاة بسن هذه، كما فكرت تاي وهي تسألها: «وأنت كم عمرك؟».

ـ ثلاثة عشر عاماً . . . تقريباً.

ـ هل يعرف أبوك أنك هنا؟

سألتها وهي تتعجب لماذا لم يذكر سنكلير أن لديه ابنة؟ وعادت تسألها: «لماذا نسيت مفتاحك؟».

فأجابت باستياء: «إنه لا يعطيني مفتاحاً».

فقطبت تاي جبينها. هل يتوقع سنكلير من طفلته هذه أن تتسكع خارج البيت حتى يأتي هو؟

ـ ربما إذا أنت شرحت له . . .

وإذا بها تجد نفسها تكلم الهواء بعد أن اختفت الفتاة عند سماعها صوت اقتراب خطوات من خلفهما. وتكهنت تاي بأنها اتجهت إلى السلم الخلفي في الوقت الذي دخل فيه سنكلير المطبخ.

لم تجد وقتاً للكلام وهو يبدأ بالقول: «هناك رسالة في جهاز الإجابة في التليفون تقول إن ابنتي هربت من المدرسة. عليّ أن أذهب لأبحث عنها. هل لك أن تبقي تحسباً لمجيئها؟».

ـ لا حاجة لذلك، فهي هنا.

ـ هنا؟

ـ أظنها هي. طويلة شقراء، وتشبهك.

تتابعت سلسلة من المشاعر على وجهه: من القلق إلى الارتياح وأخيراً إلى الغضب: «هل رأيتها؟».

ـ كانت في الحديقة، فأدخلتها. تحدثنا عدة لحظات ثم صعدت إلى الطابق الأعلى لتغير ثيابها.

الجملة الأخيرة كانت حتماً تحسباً منها في وصف ما حدث. ذلك أن الفتاة هربت إلى الطابق الأعلى لتتفادى غضب أبيها كما يبدو، الذي وجهه جزئياً إلى تاي، وهو يسألها: «لم تخبريها من أنت؟».

www.elromancia.com

فأجابت باختصار: «أخبرها بأنني لست عشيقتك إذا كان هذا ما يزعجك».

ـ من غير المحتمل أبداً أن تظن ذلك.

ردت عليه بشماتة: «بل ظنت ذلك، في الواقع، ويبدو أنها تظنك ربما تجتاز أزمة منتصف العمر بالنسبة إلى اختيارك النساء اللاتي تخرج معهن».

ـ ماذا؟

ـ لأنك تفضل النساء الأصغر سناً.

فقال وهو يستوعب ذلك مكشراً: «حسناً، ومع ذلك أريدك أن تخفي هويتك عن إلويز. إنها مازالت متكدرة لموت أخيها كيت».

ـ هل هي أخته؟

ـ نصف شقيقة. نفس الأم ولكن الأب مختلف.

فقالت بشيء من الإبهام: «أنت لم تقل قط إن لديك ابنة».

ـ وأنت لم تسأليني قط. كما لم أتصور أن لهذا ضرورة، ولن يكون ذلك ما دامت ستعود إلى المدرسة حالاً.

ـ أبهذه السهولة؟

وتساءلت كيف أمكنه أن يقرر ذلك على الفور.

ـ هل لديك رأي خلاف هذا؟

ـ أتصور أن هربها لسبب ما. ألا تظن أن عليك أن تعرفه أولاً؟

رفع حاجبه لاقتراحها: «صححي خطإي إذا كنت مخطئاً. ليس لديك أولاد، أليس كذلك؟».

ومعنى هذا، بأي حق تنصحه؟ لكنها لم تنهزم: «لا، لكني كنت مراهقة يوماً ما وهربت من المدرسة».

ـ وهل يجعلك ذلك خبيرة؟ حسناً، المعذرة إذا لم أهتم برأي مغنية روك متورطة ربما. . .

وسكت. لكنه، على كل حال، كان متأخراً، لأن تاي تمكنت من معرفة

ما لم ينطق به. . . متورطة مع كل شخص تلقاه. . . أو ما أشبه. ألقت عليه نظرة عدائية، بينما كانت تسلم بصحة أنها قد لا تكون الشخص المثالي لإعطاء نصائح. ولكن، ربما بإمكانها ذلك. فقد خرجت يوماً عن الطريق المستقيم، وهكذا بإمكانها أن تدرك المراحل الخطيرة في فترة مراهقتها عندما كانت تتخذ القرارات الخطأ.

وقال: «على كل حال، أنا أعلم سبب هرب إلويز. لكن كراهيتها للمدرسة لا تعطيها الحق في الهرب».

ـ وهل فعلت ذلك من قبل؟

أومأ باختصار قبل أن يغير الموضوع: «هل أنت جائعة؟».

ـ نعم قليلاً.

ـ اختاري ما يعجبك إذن بينما أبذل أنا جهدي للتفاهم مع ابنتي.

استدار مغادراً المطبخ، فاقتصرت على لوي ملامحها في ظهره. سمعت وقع خطواته على السلم فلم تحسد ابنته. وفي الواقع، كانت تاي تناصر إلويز الصغيرة رغم خشونة هذه نحوها. ومن يلومها على عنادها وصعوبة إرضائها وأبوها مستبد بهذ الشكل؟

هذا لا يعني أن لدى تاي خبرة كبيرة بالآباء. المؤسسة التي نشأت فيها حتى الحادية عشرة، كانت مستبدة للغاية. كان تركيزها على الموسيقى وقد تعلمت تاي العزف على الكمان على ركبة امرأة كانت عزفت من قبل في أوركسترا.

رغم أنها لا ترغب في تنشئة أولادها في مثل هذه البيئة، إلا أنها كانت لديها عموماً ذكريات سعيدة عن ذلك المكان.

ما زالت تاي تتذكر يومها الأول في الملجأ الذي نقلوها إليه. لقد حاولت أن تبتسم بشجاعة للأولاد الذين تجمعوا حولها يقدمون إليها مودتهم. لكن ما إن تركتها مرافقتها من الشؤون الاجتماعية حتى ابتدأ الضحك. بدا كل ما يتصل بها غريباً مضحكاً. ملابسها، لهجتها، ضفائرها الطويلة، (الدبدوب) الرث المهلهل الذي وجدوه في كيسها.

في خلال ساعة، كانت تجلس في زاوية، منكمشة خائفة. سمّاها واحد من الصبية (بارة). وبقيت (فأرة)... وذلك الصبي كان ستو. وقد اعترف فيما بعد بأن قسوتهم كانت نتيجة حسد لها.

لكن شهراً من الإرهاب لم يكن كافياً كي يخشنها. وجدت نفسها بعده تخرج من الملجأ. لقد سألتها مديرية الشؤون الإجتماعية عما إذا كانت تحب أن تكون ابنة متبناة، وبكلمة أخرى عما إذا كانت تحب أن تخرج من السجن. وكان الجواب، نعم أرجوكم!

الصوت المعارض الوحيد كان ستو. كان في العادة، يعاملها باحتقار، لكنه هذه المرة تنازل للقول: «ذلك أصعب مما تدركين».

ـ عمن تتكلم؟

ـ عن رعاية الأسرة المتبنية.

ـ أسوأ من هذا؟

ـ أحياناً.

تملكتها لحظات من الشك وهي تنظر في تلك العينين اللتين سبق وشاهدتا الكثير من العالم. أتراه يعرف شيئاً لا تعرفه هي؟

وافترضت أن نصيحته ناتجة عن حقد. فرمته بجوابها: «تريدني أن أبقى هنا فقط لكي أبقى تعيسة مثلك. حسناً، تباً لك يا ستو ماكلينان».

كانت هي المرة الأولى التي تستعمل فيها لغة سيئة وشعرت لذلك بتحرر غريب. هذا لا يعني أنه كان لكلماتها هذه تأثير كبير على ستو، وقال ساخراً: «الفارة التي تزأر».

فأخذ الأولاد الآخرون يزأرون في وجهها.

كرهته تايري ذلك اليوم، لكنها لم تنسه قط. وكيف تنساه بعد أن رأت أن كلماته تحققت؟ لقد كانت الحياة مع آل تشيزولم صعبة أحياناً وفظيعة في النهاية.

وهنا توقفت تايري عن التفكير، فهي ليست بحاجة إلى تجديد للأحزان. وبدلاً من ذلك عادت تركز اهتمامها على طعامها. الشهية التي

كانت فقدتها بعد حادث الاصطدام عادت إليها الآن فجأة. وأغارت على الثلاجة وصندوق التبريد والخزانات لتخرج بفكرة كافية عن عادات سنكلير في الأكل. إنه يحب اللحوم للغاية، ويتمشى على طعام مطبوخ تعده له مديرة منزله.

كانت تاي ستتجنب ذلك حتى ولو لم تكن نباتية. وبدلاً من ذلك حضّرت لنفسها طبقاً هو خليط من الخضر والجبن والفلفل والفطر. حضرت كمية لثلاثة أشخاص، لكنها لم تستطع الصبر عن تناول حصتها من الطعام الذي أتبعته بمياه معدنية.

كانت قد انتهت لتوّها عندما دخل سنكلير أخيراً. بدا وكأنه ينوء بحمل العالم على كتفيه فاستنتجت تاي أن مواجهته مع ابنته لم تنته على خير.

رأى نظراتها المتسائلة، لكنه لم يقل سوى: «لا تسألي».

ـ لا بأس. لن أسأل.

وأشارت إلى الطعام: «هل تريد شيئاً من هذا؟»

تفحص الطعام بشيء من الارتياب لكنه قال أخيراً: «نعم، لا بأس».

تجاوزت عن قلة حماسته، فقد عانى من نهار شاق، مثلهم جميعاً.

ـ سأسخنه.

رأى على وجهها مسحة من العبوس فسألها: «هل لديك صداع؟».

هزت رأسها لا تريد عطفاً، لكن عينيه بقيتا على وجهها وهو يجلس أمامها. وتجاهلت هي تفحصه هذا لها، وقدمت إليه قسماً من الطعام.

تذوق متردداً في البداية، ثم باستمتاع واضح. فسألته معتزة بمهارتها في الطهي: «هل أعجبك الطعام؟».

فنظر إليها مدهوشاً: «هل حضّرته بنفسك؟».

ـ ومن غيري؟

ـ ظننتها مديرة المنزل رغم أنه ليس طهيها المعتاد.

ـ هذا ما استنتجته من الثلاجة. أنت تعلم أن الاقتصار على اللحوم الحمراء يسدّ شرايينك.

- كان عليّ أن أتكهّن بأنك نباتية. أظن هذا شائعاً جداً هذه الأيام بين المشهورين.

- شائع؟ لا. في الواقع دوماً كنت نباتية.

- دوماً؟ حتى عندما كنت صبية صغيرة؟

فأومأت: «لم يكن لي خيار في الأمر. كل من في المؤسسة كانوا كذلك».

- آه، نعم، نسيت أمر مؤسسة الرعاية. حيث وجدوك على عتبة الباب.

بدا من لهجته وكأنه يشك في قصتها هذه، فلم تحتمل ذلك، فقد كانت حدثته بالحقيقة، وهو شيء لا تفعله دوماً.

قال ببطء: «لماذا لم يذكروا هذا الحادثة في الصحف؟ سيرة حياتك التي قرأتها تقول إنك نشأت مع أم عزباء في شقة في مجمع للطبقة الفقيرة».

إنه لا يريد أن يعرفها، فلماذا تحدثه عن نفسها؟ وهزت كتفيها دون اكتراث: «لا بأس، إنس ذلك».

فابتسم وكأنه نجح في المناقشة: «لا بأس».

فكرت في أن الرجل كالطفل حقاً. وقالت تغير الموضوع: «سأسخن طبقاً آخر إذا شئت أن تأخذه لابنتك. لابد أنها لم تأكل شيئاً بعد».

بدا العناد على وجهه: «إذا كانت جائعة يمكنها أن تنزل إلى هنا».

قاومت ما يدفعها إلى التعليق: «فهمت».

لكنه بقي يرى الانتقاد في لهجتها فقال: «إنها هي المستاءة مني. وقد حاولت أن أتفاهم معها».

- هذا ما أتصوره.

فضاقت عيناه الزرقاوان: «ما معنى هذا؟».

- لا شيء.

زمّ فمه بشدّة، مقاوماً إغراءً يدفعه إلى أن يجد لنفسه مبرراً لتصرفه.

- هل يمكنني أن استعمل التليفون؟ أريد أن أرى إن كان بإمكاني الاتصال بلس.

- لس؟

ثم تذكر أنه مديرها: «يمكنك أن تستعملي التليفون الذي في مكتبي».

ونهض ورافقها إلى الممر ثم أشار إليها بأن تتقدمه.

توجهت إلى حيث التليفون على المكتب. لم تتناول السماعة، فقد كانت تنتظر من سنكلير، الذي مازال يتسكع عند الباب، أن يذهب. لكنه قال: «أنا واثق من أنك ستكونين متحفظة فلن تذكري اسمي. وانتبهي فلعل مديرك هو الذي سيزعجك».

تأوهت تاي بشكل ذي معنى. لقد قال لها هذا أكثر من خمس مرات: «نعم، لا تخف. وعلى كل حال أنا لا أعرف من اسمك سوى سنكلير».

فقال بشيء من التردد: «إيوان، رغم أن أصدقائي يحبون أن يدعوني سنكلير أو سنيك».

ولم تكن تظن أنها ستستعمل معه اسم سنيك أو إيوان: «حسناً، والداك اسكوتلنديان كما أفهم».

- كانا كذلك. لقد ماتت أمي بالسرطان وأنا في الرابعة عشرة، ولحقها أبي بعد عدة سنوات بنوبة قلبية.

- هذا صعب.

فهز كتفيه: «لم يؤثر ذلك على حياتي في الحقيقة. كان والداي يمضيان معظم الوقت خارج البلاد في السلك الديبلوماسي. لقد أمضيت معظم حياتي في مدرسة داخلية. وماذا عنك أنت؟».

- بالنسبة إلى ماذا؟

أراد أن يفاجئها متخلية عن حذرها: «إلى والديك».

فهزت كتفيها: «أمي ميتة. وهذا مؤكد».

- وما أدراك؟ أعني ماداموا وجدوك على عتبة باب.

أتراه متشككاً في الأمر؟ ومع ذلك قالت: «لقد اعترفت على فراش الموت. وحقق المسؤولون في الأمر. ولسوء الحظ كان الوقت فات لاجتماع الأحبة».

www.elromancia.com

كانت تصرفاتها وقحة وعيناها صلبتين، ومع ذلك وجد سنكلير نفسه يتساءل عما إذا كانت هذه القصة الخيالية هي حقيقية في الواقع.

ـ وماذا عن أبيك؟

ـ مجهول ومن المحتمل أن يبقى هكذا.

لم تكن تبدي اهتماماً. لكن سنكلير كان من سعة الخيال بحيث كان يحس بعمق ألمها، وهي ترى أباها يهجرها بهذا الشكل. ورأت نظراته إليها. هذا عظيم! أتراه ابتدأ يفكر في الإشفاق عليها؟

وحطمت هذه اللحظة بتهكم متعمّد: «على كل حال، يا إيوان، الآن بعد أن تقاربنا، هل يمكنني أن استعمل تليفونك؟».

ـ فقط استعملي اسم سنكلير.

وعلى الفور فقدت عيناه الزرقاوان ما كان فيهما من عطف وهما تنظران إليها قبل أن يستدير ويخرج.

ابتسمت تايري لنفسها وهي تدير رقم تليفون لس في شقته اللندنية، وتلاشت ابتسامتها عندما أخذ التليفون يرن ويرن حتى تحول إلى جهاز الإجابة. وبعد ذلك جربت الاتصال بكوخها. وهذه المرة أجابها صوت مألوف: «أهذا أنت يا تاي؟ أين أنت؟».

فأجابت: «هذا غير مهم. هل ما زال هناك مراسلو صحف عند الباب؟».

ـ لا. لقد ذهبوا جميعاً. لكنهم ربما يعودون. هل صحيح أنك وقعت عن السلم؟ كيف حالك الآن؟

كان في صوته اهتمام، لكن تايري لم تكن واثقة تماماً من دوافعه. لس هو رجل أعمال أولاً وأخيراً، وكانت هي بضاعته.

ـ أنا بخير، فقد انزلقت على السلم ورضضت نفسي، وهذا كل شيء. ليس ثمة ضرر هذا إلى ورم بسيط في الرأس. لكنني قررت أن آخذ فترة راحة، فأبتعد لفترة.

مرت فترة صمت كان لس أثناءها يختار كلماته بعناية: «اسمعي. أنا

أعلم أنه كان وقتاً شاقاً بالنسبة إليك، ياتاي. لكني لا أستطيع أن أمنحك إجازة من العمل في هذه المرحلة. وإذا كنت تريدين الاستفادة من هذا الظرف، عليك أن تظهري نفسك».

ـ أظهر نفسي على ماذا؟

سألته غير مصدقة فأجاب: «على شاشة التلفزيون، والراديو. وربما تجري لك بعض الصحف الشعبية المتعاطفة مقابلات. كذلك شركة التسجيل تريد أن تعقد اجتماعاً معك لكي تناقش مسألة انتقالك إلى فنانة منفردة».

كان واضحاً من لهجة لس أنه يتوقع منها أن تتحمس. لكنها، بدلاً من ذلك، تملكها الذعر. كيث وستو لم يبردا في قبريهما بعد.

ـ لا أريد أن أكون مغنية منفردة.

وكانت لهجتها تخبره بأنها لا تريد أن تكون أي نوع من الفنانات.

ـ أنا متفهم.

ادعى لس هذا بينما كان واضحاً أنه ليس كذلك: «وهذه ليست مشكلة. إننا بحاجة إلى تنظيم جديد لأجل جولة في أميركا. كنت أفكر فيك أنت ووايني، طبعاً مع عازفين على الكمان. والأفضل إذا استطعنا أن نعثر على موسيقي في...».

لم تستطع تاي أن تحتمل الإصغاء أكثر من ذلك فوضعت السماعة لتنهي المحادثة. لعلها تنهي مهنتها أيضاً... ولكن ارتياحها كان بالغاً!

***

٥ ـ هروب تحت ضوء القمر

وجدها سنكلير جالسة عند الهاتف من دون حراك.

ـ هل كل شيء على ما يرام؟

كانت أفكار تاي بعيدة مليون ميل، فجرّت نفسها عائدة إلى مكانها وحاضرها: «نعم، بأحسن حال».

فقال محاولاً أن يختبر مزاجها: «هل تحدثت إلى مديرك؟».

فأومأت: «قال لس إن الصحافيين ذهبوا».

ـ أتصور أن ذلك مؤقت. هل سيأتي لس ليأخذك؟

وشعرت بأنها ستكون سعيدة جداً إن لم ترَ لس مرة أخرى.

ـ ستضطر لتحمّلي... هذه الليلة على الأقل.

لم يعترض بل سألها: «هل تصلح إليز حارسة؟ الوقت متأخر قليلاً على استدعاء مديرة المنزل».

ـ بكل تأكيد.

بدت لها فكرة تحرّشه بها مستبعدة، وذاك العناق راح يبدو لها غير حقيقي.

ـ سآخذك إلى غرفة الضيوف.

وسبقها صاعداً السلم فتبعته وهي تعرج قليلاً. ومع صعودهما راحت موسيقى الروك تعلو. وعرفت أنها آخر أسطوانة لفرقتها وتساءلت عما إذا كان سنكلير يعلم ذلك.

رأت أبواب عدة عند فسحة درج الطابق الأول. وعرفت باب غرفة

ابنته ليس فقط من الموسيقى إنما من صينية الطعام بجانب الباب. إذن، فقد رضي عنها وأحضر لها عشاء أثناء وجودها هي قرب الهاتف.

رأى نظراتها فقال: «عليها أن تأكل».

ـ طبعاً.

ـ انتظري لحظة.

وغاب في غرفة أخرى ثم عاد حاملاً ثياب نوم رجالية.

ـ آسف فهذا كل ما لدي.

أخذت البيجاما: «شكراً».

ـ من هنا.

كان هناك سلم آخر يصعد إلى طابق علوي. فتح باباً لكنه لم يدخل «ثمة مفتاح في القفل وهذا لا يعني أنك بحاجة لأن تستعمليه».

ورمقها بإحدى نظراته المترفعة وكأنه يقول: لن ألمسك ولو كنت المرأة الوحيدة في العالم.

انتظرته حتى خرج، إنما بدا واضحاً أنه يريد أن يقول شيئاً آخر: «أحب أن أعتقد أن بإمكاني أن أثق بك، أيضاً».

ـ دع عنك هذا الغرور.

شعر سنكلير للحظة بالضياع، إذ لم يخطر له حتى أنها قد تكون مهتمة به. وابتسم باختصار: «هذا ليس ما عنيته تماماً. ما قصدته هو ألاّ تختفي أثناء الليل. قد تشعرين أنك في حالة جيدة، ولكنك تعانين من ارتجاج في المخ».

قالت بسرعة لتغطي ارتباكها: «أنا لا أخطط حالياً للهرب في ضوء القمر».

فأومأ: «هذا حسن».

ولم تستطع أن تمنع نفسها من أن تقول: «لكن، إذا غيرت رأيي، فأعدك بألاّ أسرق فضيات الأسرة».

وتأوه سنكلير. ألا يمكن لهذه الفتاة أن تكون جادة في أي شيء؟ وأخذ

يتأمل وجهها بينما راحت هي تنظر إليه من دون أن تطرف. كانت عيناها عنيفتين لكن رائعتي الجمال، وخضراوين بشكل غير عادي وأهدابها كثيفة داكنة، وملامحها جميلة رقيقة. عندما تتكلم فقط تحل مكان دمية الخزف الرقيقة، الفتاة الرخيصة المظهر التي ترأس فرقة الروك.

افترضت أنهما يتنافسان في التحديق إلى بعضهما البعض حتى انتقل بصره إلى فمها. زمّت شفتيها، استياءً، لكنه عندما عاد يحوّل عينيه إلى وجهها، رأت فيهما رغبة.

لم يُخفِ ذلك، وتساءلت عما جعلها تظن أنّ هذا الرجل بارد المشاعر.

عاد يتابع حديثه بما يشبه الزمجرة: «سأقول تصبحين على خير، إذن».

ثم استدار وخرج.

شعرت تاي بالهجران. تأملته خارجاً وراحت تفكر في ما حدث للتوّ. تبادل النظرات بينهما جعلها تتصور الكثير لكنه، في الأساس، لا شيء.

فلماذا إذن عاد إلى الغضب؟

هزت رأسها بشيء من الغضب، وقررت ألاّ تفكر في ذلك، وهي تدخل غرفتها لتنام.

وأخذت تنظر في أنحاء الغرفة. سرير مزدوج من خشب محفور، يعلوه غطاء منقوش بالزهور يتلاءم مع الستائر. مصباحان على جانب السرير، وخزانة ملابس مع أدراج. كانت الغرفة مريحة لكن ما من شيء خاص فيها وكأنها غرفة في فندق قروي.

هذا لا يعني أن شكل الغرفة يهمها، فهي لا تخطط للبقاء وقتاً طويلاً.

دخلت الحمام وبعد ذلك ارتدت البيجاما.

كانت البيجاما كبيرة جداً، فتركت البنطلون جانباً واكتفت بالسترة كقميص نوم. وجعلها هذا تفكر في ما سترتديه غداً عندما تغادر منزل سنكلير. لم يكن بنطلونها الجينز سيئاً للغاية. لكن كنزة سنكلير الرياضية واسعة ولا يمكنها ارتداؤها من دون أن تجذب الأنظار.

كانت قد تركت قميصها القطني المبلل منشوراً على جهاز التدفئة في المطبخ ليجف، فقررت أن تنزل وتحضره وهي واثقة من أن سنكلير نائم في غرفته.

كان المنزل ساكناً مظلماً كالقبر عندما نزلت إلى الطابق الأرضي، وهكذا تملكتها ما يشبه الصدمة عندما دخلت المطبخ لتجد أنها ليست وحيدة.

كانت الويز جالسة إلى المائدة تأكل آيس كريم.

سألتها بابتسامة ودود: «جائعة؟».

لكن وجه الفتاة كان حذراً وهي تجيب: «أظنك ستخبرين أبي».

ـ أخبره بماذا؟ لا أظنك ستهربين من البيت بالبيجاما والخفين؟

فقالت الفتاة وهي تنظر إلى تايري بوجه متجهم: «هل هذه بيجامة أبي؟».

ـ نعم. وأنا مقيمة في غرفة الضيوف.

واتجهت إلى جهاز التدفئة لتأخذ قميصها القطني، فقالت لها الفتاة: «أحقاً أنك لست آخر صديقاته؟».

التفتت تايري إليها وهي تتنهد: «أنا واثقة من أن أباك لم يقل لك هذا».

هزت إلويز كتفيها: «سألته من تكونين لكنه لم يجبني... أنت لست مرافقة أخرى لي... أليس كذلك؟».

هزت تاي رأسها: «هل لديكم واحدة عادة؟».

ـ نعم. الأخيرة، إيزابيلا، كانت مصدر إرباك بالغ.

ساد صمت ملؤه الفضول، لكن تاي بقيت صامتة.

ثم عادت إلويز تتابع: «كان لا بأس بها في البداية، ماعدا تذمرها بالاسبانية أحياناً...».

ونظرت إليها إلويز وكأنها تسألها إن كانت تريد أن تسمع القصة.

لم تكن تاي واثقة من رغبتها في الإصغاء، لأن ذلك لم يكن من شأنها.

لكنها وجدت نفسها تجلس على مقعد قرب إلويز التي شرعت تقول: «لقد

وقعت في غرام أبي. كانت عيناها دوماً عليه، أي كلمة ينطق بها على المائدة يحمر لها وجهها. وكانت تطرح عليه أسئلة سخيفة كي تتحدث إليه. كان أمرها واضحاً جداً! لكن أبي لم يلاحظ. حسناً، إلا بعد أن أصبح الأمر واضحاً تماماً».

قالت تاي بشيء من الإرتياب: «أفهم من هذا أن القصة لم تكن لها نهاية سعيدة».

وأجابت إلويز عابسة: «لا، فقد طردها في النهاية. وأرغمني أنا على الذهاب إلى مدرسة داخلية».

وظهرت الحقيقة لتايري. لم تكن المشكلة الحقيقية هي غرام الفتيات بوالدها وإنما تأثير ذلك على إلويز.

ـ ولم تعجبك المدرسة الداخلية؟

فهتفت الفتاة باشمئزاز: «تعجبني؟ هل حدث أن ذهبت يوماً إلى مدرسة داخلية؟».

لا، بل ذهبت إلى أسوأ منها، إلى بيت لرعاية الأولاد.

وعادت الفتاة تقول وهي تغرز ملعقتها في الآيس كريم بعنف: «إنها فظيعة لا بل أكثر. إنها سجن».

ـ ربما عليك أن تشرحي شعورك هذا لأبيك.

فقالت إلويز وهي تشخر ساخرة: «نعم، وسيصغي إلي...»

وحيث أن تاي لم تجد لدى سنكلير تفهماً وتعاطفاً، قاومت إغراء أن تظهر تعاطفها مع الفتاة.

ـ أعلم أن هذا يناسبه، فإذا ذهبت، يمكنه أن يحضر صديقته للإقامة هنا.

ـ هذا إذا افترضنا أن لديه صديقات.

لم تستطع تاي أن تتصور سنكلير وهو يغازل امرأة ما.

رمقتها إلويز بنظرة تعني (أتظنينني ساذجة؟) وقالت بزهو: «طبعاً لديه صديقات. فالنساء يلقين أنفسهن عليه دوماً. صديقاتي يقلن إنه وسيم

بالنسبة إلى سنه طبعاً».

افترضت تاي أن كلام الفتاة معقول. فإذا ما تجاهل المرء شخصية سنكلير الحقيقية ونظر إليه كرجل، يمكن أن يرى فيه حلم كل امرأة.

وتابعت إلويز: «في الواقع، صادفت إحدى صديقاته مرة خارجة من غرفته. وقد بدا عليها الشعور بالذنب!».

فكرت تاي في تقديم تفسير بريء لذلك لكنها لم تجد فقالت بدلاً من ذلك: «هل ضايقك ذلك؟».

فكرت إلويز قليلاً ثم هزت كتفيها: «لا، في الحقيقة. على أيّ حال، أنا أخبرت أبي أن لا بأس في ذلك».

ـ أحقاً قلت له ذلك؟

لابد أن حديثهما ذاك كان مشوّقاً. فقالت إلويز: «لم أبح بالسر بل تلك المرأة هي التي أخبرته. وقد استاء جداً، ولكن لم يكن ثمة حاجة لذلك، فأنا أتفهم هذه الأمور».

كبحت تاي ابتسامة وقالت: «من الواضح أنك أنضج من عمرك».

بدا السرور على إلويز إلى حد عادت تقول لها: «هل أنت أكيدة أنك لست صديقة أبي؟».

فهزت تاي رأسها: «تماماً. في الواقع سقطت أمس عن السلّم فالتوى كاحلي، وقد طلب طبيبي من أبيك أن يوصلني إلى بيتي».

ـ لكنك هنا.

فأجابت تاي بسرعة: «نعم، حسناً، فقد توقف أبوك عند بيتكم ليحضر شيئاً، وإذا بك تصلين. ومضى بعض الوقت وأصبح من الأسهل أن أبقى هنا بدلاً من أن يضطر أبوك لاصطحابك معه كيلا يتركك وحدك في البيت».

ـ آسفة.

ـ لا بأس. لم يكن لديّ ما أفعله هذا المساء.

ـ أنت لست متزوجة أو ما شابه؟

www.elromancia.com

ـ لا. لماذا؟

ـ كنت أفكر . . . حسناً، إذا كان أبي يعجبك فسيكون هذا حسناً جداً. أعني أنت مناسبة.

هزت تاي رأسها: «أنا مجرد عابرة طريق».

ـ هذا مؤسف. كنت أرجو أن تقنعي أبي بأنني لن أتدخل في حياته إذا ما سمح لي بالبقاء في البيت.

تساءلت تاي عما إذا كانت الفتاة منصفة تماماً، فسألتها: «هل أنت واثقة من أن هذا هو السبب الذي جعله يعيدك إلى المدرسة؟».

ـ حسناً، لعله ليس السبب الوحيد. المشكلة أنه لم يعد هناك من يحضرني من المدرسة أو يبقى معي إذا اضطر أبي للخروج ليلاً. كانت السيدة إندريو، مدبرة بيتنا، تتواجد لأوقات محددة، لكنها كبيرة في السن ومشغولة دوماً، وهكذا رأى أبي أن الحل هو المدرسة الداخلية.

بدا واضحاً أن إلويز ترى فيه حلاً خاطئاً، لكن تاي تفهمت وضع سنكلير: «هل سيعيدك إلى المدرسة غداً؟».

أومأت إلويز عابسة: «إلا إذا كنت محظوظة وطردوني من المدرسة».

ـ هل هذا هو هدفك من الهرب؟

بدا على إلويز السخط من هذا السؤال: «لا!».

فرفعت تاي يدها تسترضيها: «لا بأس. أنا أصدقك».

ـ صدقيني، لم أعد أحتمل البقاء هناك . . . خصوصاً هذا الاسبوع.

ـ طبعاً.

قالت تاي هذا مفترضة أن الفتاة تشير إلى القضية. وأثبتت إلويز هذا بسؤالها: «أتعرفين ما حصل لأخي كيت؟».

حتى وهي تومىء إيجاباً، تمنت ألاّ تسألها الفتاة ماذا تعرف وكيف عرفت. فالفتاة لا تعرف هويتها الحقيقية.

ـ حسناً، كنت قد أخبرت عدداً من الفتيات بأن أخي يعزف في «طاقة السكر». كنت أتباهى بذلك. لكن بعد الحادث وكل ما كتبته الصحف،

تمنيت لو لم أفعل لأن المدرسة كلها تعرف الآن، وكل واحد يسألني أسئلة غبية.

ـ لعلهم يريدون إظهار تعاطفهم.

ـ بعضهم، نعم. لكن البعض منهم يريد أن يعلم ما إذا قابلت تاي نيمو وما إذا كان بإمكاني أن أحصل على توقيعها. هذا يشعرني بالغثيان، وكأنهم لا يفهمون أن أخي مات ولن يعود أبداً مرة أخرى.

تهدّج صوت الفتاة أخيراً واغرورقت عيناها بالدموع. وتقدّمت تاي تجلس بجانبها.

ـ لا بأس. إبكي إذا شئت. لن يسمعك أحد سواي.

ووضعت يدها على ذراعها تواسيها فتصلب جسم الفتاة لحظة، ثم أخذت كتفاها تنحنيان وغمرها الحزن.

لم تعجب تاي كيف يمكن لهذه المراهقة أن تتحوّل بهذه السرعة إلى طفلة تعسة، فقد تذكرت أنها لم تفقد قدرتها على البكاء إلا بعد أن واجهت صعوبات الحياة. لكن مازال بإمكانها أن تقدم المواساة، فأخذت تمرر يدها على شعر الفتاة بحنان وهي تتمتم مواسية فيما دفنت إلويز رأسها في كتفها متنعّمة بحنان الأمومة.

لكن هذا المنظر بدا غريباً في نظر سنكلير الذي نزل إلى المطبخ ليحضّر ما يشربه قبل النوم فتسمّر على العتبة يتفرج على تاي نيمو وهي تهدّىء ابنته الذاهلة المضطربة بحنان لم يكن يتصوّر أنها تملكه.

تردّد. لقد مضى وقت طويل منذ كانت إلويز تلجأ إليه باكية واثقة من أن بإمكانه أن يحل مشاكلها. أتراها سترحب بتدخّله في هذه المرحلة؟

وأخيراً، أحست تاي بوجود شخص ثالث فرفعت بصرها ليقع على سنكلير. أشارت إليه بأنها ستخرج ليأخذ مكانها لكنه هز رأسه. وبعد أن تأمل المشهد لحظة أخرى، استدار على عقبيه وخرج.

قطبت تاي جبينها مستغربة منه أن يأتمنها على ابنته الباكية، أم تراه يفضل تعريض ابنته لنفوذها على مواجهة دمعات قليلة لشدة ما اعتاد كبت

مشاعره؟

- محبّة إلويز! وتملك تاي القلق على مستقبلها. إنها بحاجة إلى المحبة، والصغار أمثالها يميلون إلى التفتيش عنه في الأمكنة الخاطئة.

ولكن ماذا بإمكانها أن تفعل؟ لا شيء فهي مجرد عابرة سبيل.

وانتظرت حتى استحالت دموع إلويز إلى شهقات متتابعة، فقالت: «أنت بحاجة إلى النوم».

أسندتها تاي في الصعود إلى غرفتها ومرتا بغرفة سنكلير التي كانت مضاءة وبابها موارب.

أزاحت غطاء السرير ثم طلبت منها أن تصعد إليه قبل أن تقول: «أنت أكبر من أن تسمعي حكاية قبل النوم، كما أظن».

ابتسمت إلويز إبتسامة خفيفة: «لا بأس بالموسيقى».

- على أن أختارها أنا.

وأخذت تقلّب في الأشرطة، متجنبة أغاني «طاقة السكر» مفضلة عليها غناءً ناعماً لمجموعة فتيات.

وضعت الشريط مخفضة الصوت. فقالت إلويز: «إبقي هنا واسمعي إذا شئت».

رأت العينين الزرقاوين المتوسلتين ففهمت. كانت إلويز تنشد القليل من الصحبة. وهكذا، جلست على كرسي بجانب السرير وتصنعت الاستمتاع بالموسيقى إلى أن رأت جفني إلويز يثقلان تدريجياً ثم يغمضان.

انتظرت دقائق عدة تأكدت فيها من استغراق الفتاة في النوم ثم غادرت الغرفة. لكن الأرض الخشبية أحدثت صريراً نبّه الرجل الذي كان يصغي في الخارج.

ظهر فجأة فأجفلت قليلاً.

- آسف، لم أقصد إخافتك.

لكنها كانت قد استعادت توازنها فقالت: «أنت لم تخفني. إنها نائمة».

فأومأ راضياً: «لماذا كانت تبكي بالضبط؟».

- على كيت بشكل رئيسي. ولأن الفتيات في المدرسة لا يظهرن تعاطفاً حقيقياً.

قطب سنكلير حاجبيه. لقد حاول أن يناقش هذه الأمور مع إلويز فكانت تكتفي بهز كتفيها. يبدو أنها شعرت براحة أكبر مع هذه الغريبة. لماذا؟ هل من الصعب التحدث إليه؟ أم أن في هذه المرأة شيئاً غير عادي؟

هو أيضاً يشعر بانجذاب نحوها، لكن إنجذابه إليها جسدي.

هرب من هذه الخواطر قائلاً: «شكراً لاهتمامك بإلويز».

فنظرت إليه وكأنها تقول: أحقاً أنت شاكر؟ حاول ألاّ ينظر إليها وهي تصعد السلم حيث بدت ساقاها رشيقتين متناسقتين.

ما الذي قالته له إلويز؟ (إنها ظريفة للغاية، آخر صديقاتك. ولكن لعلها صغيرة بعض الشيء؟).

هز رأسه يكبح أفكاره، وعاد إلى الموضوع الأهم، وهو إلويز.

دخل إلى غرفتها بخفة بالغة، فوجدها مستغرقة في النوم. تملكه شعور بالغ بالمحبة فطبع قبلة على جبهتها فرأى آثار الدموع على وجنتيها وكأنه عتاب. لقد تصور، بعد الصدمة الأولى، أنها تغلبت على حزنها على كيت. لكن ما الذي يعرفه في الحقيقة؟ فالتواصل بينه وبينها ضعيف.

كان الأمر أسهل بكثير عندما هجرته نيكول نهائياً. كانت إلويز مجرد طفلة رضيعة، مصادفة سعيدة من أوقات مصالحتهما. لقد ناضل ليحصل على الوصاية عليها ونجح.

رأى أن التغيير لابد منه، رغم أنه لم يكن مستعداً له. ففي لحظة كان يعيش مع صبية في الحادية عشرة من عمرها، وفي اللحظة التالية تحوّلت الصبية اليافعة غير البالغة إلى فتاة سريعة الاستياء تجادل متلهفة لترتدي ملابس غريبة. كان بإمكانه أن يواجه ذلك، لكن يبدو أن الخادمات لم يستطعن ذلك. فكن إما يطلقن العنان لها، وإما يهربن.

بدا أن المدرسة الداخلية هي الحل الأنسب، وهي مألوفة لديه فقد دخل إحداها وهو في الثامنة. لكن إلويز رأتها كنوع من العقاب، وهربت منها

ثلاث مرات حتى الآن.

حتى الآن، ورغم أنه يتمنى السعادة لابنته، إلاّ أنه مازال يشك في صوابية السماح لها بترك المدرسة. لا بد أن تاي نيمو تؤيد نظرية ألا يُرغم الشخص على فعل ما لا يحبه. لكن سنكلير محكوم بظروف عدة.

* * *

في الطابق الأعلى، كانت تاي تواجه مشاكلها. فقد أعادت تعاسة إلويز الماضي إلى الحياة. كانت تاي تعرف جيداً شعور فتاة في الثانية عشرة تحت رحمة عالم الكبار.

كانت في مثل هذه السن حين ذهبت لتعيش مع آل تشيزولم. وكانا زوجين من الطبقة الوسطى يبدوان طيبين محترمين.

أي فتاة لا تتأثر بغرفة نوم مزخرفة بشكل جميل، في فيللا تقوم في حي ممتاز، ومكان في أحسن مدرسة خاصة في غلاسكو؟

بقيت تاي تقنع نفسها بحسن حظها. لذا، ما أهمية إصرار مرغريت على أن تتحكم في ما تفعله تاي وتأكله وتفكر فيه؟ لعل هذا الأمر طبيعي في الأسر الطبيعية. وإذا كان توم تشيزولم يبدو عديم الاكتراث، فلن تتذمر.

بذلت جهدها في أن تحب مرغريت. كانت تناديها (ماما) حسب طلبهما، وراحت تقلد طريقتها في الكلام واللباس والتفكير حتى أضناها الجهد. وحاولت مرغريت من ناحيتها، لكن روابط المحبة بينهما كانت مفقودة.

وبقوا يمثلون دور الأسرة السعيدة، مدة عامين. لم تكن مرغريت من اللاتي يعترفن بالفشل، كما أن تايري لم ترغب في العودة إلى الملجأ.

وعادت تايري إلى شخصيتها الحقيقية. فتاة لا طيبة ولا سيئة، ذكية لكنها ليست مجتهدة في دراستها. لعلها عنيفة المزاج لكنها حتماً ذات عقل مستقل.

لم يعجب هذا مرغريت وشيئاً فشيئاً فترت الروابط بينهما وازداد الإستياء. لكن العلاقة بين تاي وتوم تحسّنت. فابتدأ يخرجها معه، ويحيطها بذراعه بعطف، ويبدي لها العطف حين تمر مرغريت بإحدى نوبات صراخها.

لكن، ومع الوقت أصبحت الذراع عناقاً يطول أكثر فأكثر. كان يخبرها كم هي جميلة ويعطيها مزيداً من مصروف الجيب على ألاّ تخبر مرغريت فكانت تبتسم بارتباك إزاء المديح ثم تأخذ النقود، فذلك أسهل من الرفض. ولطالما ظنت أن ثمة خطأ فيها عندما كانت تخجل من لمس توم لها.

هل أصيبت بصدمة عندما تجاوز توم أخيراً الحدود؟ نعم، ولا.

حدث ذلك بعد حفلة زفاف في الأسرة. وكانت تقف في الخارج مع فتى أكبر منها سناً. كان في السابعة عشر وكانت هي في الخامسة عشر تقريباً. وعندما أخذ يثرثر معها، تملكها الغرور. رقصا معاً مرتين فقط، لكنها لمحت وجه مرغريت متوتراً بغضب مكبوت.

لم تكن مرغريت توبخها قط أمام الناس. انتظرت حتى عادتا إلى البيت وصعدتا إلى غرفة تايري حيث انهالت عليها بالتعنيف. أتريد أن يظنها الناس فتاة قذرة؟ عليها هي تايري، من بين كل الناس، أن تفهم نتائج العلاقات من دون زواج فهي تؤدي إلى ترك المواليد على عتبات المنازل.

أصغت تايري بوجه ملتهب، ويدين تنقبضان وتنفتحان برغبة ملحّة في أن تصفع وجه أمها بالتبني. ولم تمنحها مرغريت فرصة للإجابة لشدة غضبها وخرجت من الغرفة شامخة متصلبة.

لم تكن هذه المرة الأولى التي تشير فيها مرغريت إلى أن تاي ضعيفة الأخلاق بالوراثة، ولكن تاي اكتسبت مناعة ضد هذه التقريع العنيف. وإذ شعرت بدموعها توشك أن تنهمر غاصت في فراشها.

وبعد لحظة ظهر توم. أحاطها بذراعيه ثم أخذ يظهر لها العطف، وهي تسكب عذابها دموعاً.

إنها ليست قذرة على الإطلاق، كما أخبرها، وهي جميلة، ناضجة

الجسد ما يجعلها امرأة عملياً، لكن مرغريت تغار حتى من تقاربهما. من الصعب أن يصدق أحياناً أنهما ليسا أباً وابنته. لكن هذا أمر حسن، وإلا لما استطاعا أن يكونا أكثر من ذلك، بينما هو وهي يريدان ذلك، أليس هذا صحيحاً؟ قال لها إنه يشعر بها ترتجف، وهو كذلك. لا حاجة للقلق الآن، فهذا سيكون سرّهما. ومرغريت خرجت من البيت.

كان صوت توم انخفض في أذنها إلى الهمس. وقد اخطأ تفسير شهقة الذعر التي صدرت عنها فظنها تشجيعاً.

تملكها الاشمئزاز وشعرت بالعار... أتراها، بشكل ما، تسبّبت في حدوث هذا؟

تصلب جسدها عندما ألقاها على السرير. ومدّ يده يطبق فمها فتخرج صراخها مكبوتاً. وراحت تصرخ وتصرخ من دون أمل في أن يتوقف أو أن يساعدها أحد.

لكن عندما تصاعد الصراخ لم يكن منها. واليدان اللتان سحبتاه عنها لم تكن يديها، والوجه الغاضب الهائج الذي واجههما كان وجه مرغريت.

في البداية، شعرت بالارتياح فقط والحاجة إلى التنفس، ثم حاولت أن تفهم سبب صراخ مرغريت الهستيري.

تكررت كلمة «عاهرة» مرات عديدة. إنها كلمة غريبة إذا استعملت لرجل.

كان توم قد نزل عن السرير ووقف مترنحاً، لكنه كان من سرعة الخاطر بحيث اختلق لنفسه عذراً: لقد نادته تايري وطلبت منه أن يجلس معها، ثم أخذت تبكي، فوضع ذراعه حولها. ولعلها فهمت مواساته خطأ، فجذبته إلى السرير.

واحت تايري تحدق إلى توم غير مصدقة، ثم إلى مرغريت. كانت جالسة هناك، فتاة في الرابعة عشر، دموعها تنهمر على وجهها وقد أخرستها الصدمة. كانت الحقيقة واضحة لكي تراها مرغريت.

لكن مرغريت اختارت ألاّ ترى. ركزت شتائمها على تايري لأنها

وجدت ذلك أقل إيلاماً لها.

أرادت تاي أن تدافع عن نفسها لكنهما كانا اثنين ضد واحد. ولم يكن لديها سلاح. وهكذا هربت إلى الطابق السفلي ومنه إلى الخارج في الليل.

كان الليل مظلماً بارداً لكنه أفضل من مواجهة توم تشيزولم. وفي ما بعد، أخذت تتساءل لماذا لم تذهب إلى بيت إحدى صديقاتها من المدرسة؟ لقد شعرت حينذاك بنفسها قذرة للغاية. وهكذا أخذت تطوف في المدينة.

وفي الصباح سارت إلى الملجأ. وأي مكان لديها غيره؟

لم تكن بحاجة إلى شرح طويل. فقد سبقها الزوجان تشيزولم إلى هناك وادّعيا أنها أصبحت صعبة المراس ومنحرفة.

ووجدت تايري أنها لا تستطيع دحض أكاذيب الزوجين خصوصاً بعد أن مالت مندوبة الشؤون الإجتماعية إلى تصديقهما. وهكذا تصرفت بما يخدم مصلحتهما ولعبت دور المراهقة السيئة السلوك، مظهرة التمرد والغضب.

لكنها بقيت غاضبة، وهذا ما لاحظه زميل لها في الملجأ. ما زال ستو هناك! بادرها قائلاً: «أتظنين أنك البنت الصغيرة الوحيدة التي يتسلل إليها رجل بغيض في الليل؟».

ـ لا. وماذا عليّ أن أفعل؟

رفع حاجبيه لسذاجتها: «أن تتذكري دوماً هذا، وماذا غير ذلك؟».

***

وها هي الآن، بعد ثمانية أعوام، مازالت تتذكر ذلك.

كانت تعلم أن الأمر يمكن أن يكون أسوأ. فقد قابلت أخريات لم يصل إليهن أحد في الوقت المناسب لإنقاذهن. لكن ذلك لم يشكّل أي فرق. دقيقتان من الرعب بين يدي توم تشيزولم أفسدتا علاقاتها بالرجل بصرف النظر عن علاقتها بستو.

كم تفتقده! فقد أصبح أسرتها، وأصبحت هي أسرته، وخلال حياتهما

لم يكن للواحد منهما سوى الآخر.

وها هي الآن قد عادت لتعوم مع التيار على غير هدى، في منزل غريب، تصغي إلى أصوات الليل حتى تستسلم للنوم في النهاية.

***

٦ - تزور أحلامه

تدفقت أشعة الشمس إلى غرفة تايري توقظها، ففتحت عينيها اللتين بهرهما الضياء. عادت فأغمضتهما شاعرة بالتعب وهي تفكر في العودة إلى النوم، لكن ذلك سيجعل هربها من البيت صعباً.

لا، يجب أن تخرج من هنا. ارتدت الكنزة الرياضية، فقد تركت قميصها على الكرسي بعد مقابلتها إلويز.

يا للطفلة المسكينة! ولكن ماذا بإمكانها أن تفعل؟ لن يصغي سنكلير إلى أي نصيحة منها، ومن الأفضل أن تغادر البيت قبل أن يستيقظ أي منهما. خف ألم كاحلها الآن. وسارت إلى النافذة تتفحص الجو، فوجدته ممتازاً.

كانت على وشك أن تترك النافذة عندما استرعت انتباهها سيارة على الطريق المؤدية إلى البيت. لم تستطع أن ترى السائق لكن الساعة كانت السادسة والنصف صباحاً.

من يمكن أن يكون هذا سوى الصحافة؟ وإذا وصل صحافي واحد فسرعان ما سيتكاثر عددهم.

أول ما خطر لها هو أن تهبط السلالم لتهرب من الباب الخلفي. رفعت المزلاج وأدارت المفتاح قبل أن تعود فتفكر في ما تفعله... ستترك سنكلير يواجه وحده المأزق الذي ورطته فيه. لكنها لم تطلب منه توريط نفسه. كان ذلك اختطافاً فلماذا لا تتركه يواجه النتائج؟

كادت تاي تربح المعركة مع ضميرها عندما فكرت في إلويز الفتاة الحساسة. فهل من اللائق أن تدعها تستيقظ على زيارة الصحافيين؟

أعادت تاي مزلاج الباب إلى مكانه. أسرعت تصعد السلم وطرقت باب غرفته مرات عدة، من دون جواب. لم تشأ أن تصرخ باسمه كيلا توقظ الويز فدخلت من دون أيّ اعتبار.

كان مستغرقاً في النوم والغطاء ملفوف حول خصره.

كان القسم الأعلى من جسمه قوي العضلات، والشعر الأسود على صدره كثيفاً. إنه رجل كامل!

خطرت في بالها هذه الفكرة لكنها سارعت إلى نبذها. إذا كانت من الخبل بحيث تُفتن بسنكلير فمن الأفضل أن تستشير طبيباً نفسانياً.

همست من جانب السرير: «سنكلير».

لم يجب فعادت تهمس: «سنكلير، استيقظ».

صدرت عنه زمجرة هي أقرب إلى السرور وبدا أنه استفاق للحظة، لأنه أدار رأسه على الوسادة ثم عاد إلى النوم.

فكرت في أن ترفع صوتها لكنها خافت أن توقظ إلويز.

ركعت رغماً عنها، على الفراش ووضعت يدها على كتفه لتهزه برفق في البداية ثم بشدة.

في النهاية، ظهرت نتيجة محاولاتها إذ انقلب على ظهره، لكنه ولسوء الحظ دفعها معه فأفقدها توازنها ووجدت نفسها على صدره.

أول ما خطر لها هو أن تتراجع عنه مشمئزة لكن سنكلير عاكس نيتها إذ لفّ ذراعه حول جسمها بحنان.

- سنكلير!

لكن سنكلير لم يحفل بصرختها بل شدّها إليه أكثر.

- سنيك. . . .

أدركت أنه لم يكن يحضنها هي بل يحضن امرأة أحلامه. كانت تدرك أنها إذا قاومته فسيدعها تذهب لكنها لم تفعل.

كانت أطرافها متجمدة في العادة، لكنها ذابت في داخلها. راح الدم يتدفق في عروقها كالنهر فيما تملكتها مشاعر جديدة عليها.

بالنسبة إلى سنكلير، كانت الحقيقة ممزوجة بالحلم منذ فترة. كان يعرف من يحضن، ويعرف صاحبة هذا الجسم الدافىء الناعم. توقف حين استطاع ذلك، غير قادر على تجاهل حقيقة أنها سلبية أكثر منها متجاوبة.

نظر إلى الوجه الذي بدا خالياً من أي عيب، فبادلته العينان الخضراوان النظر. لم تكن نظرتها جريئة كعادتها، بل بدت مضطربة.

توقعت منه أن يقول شيئاً. لكنه بقي صامتاً وعيناه في عينيها.

وأخيراً دفعته عنها فتركها. نزلت عن السرير ثم سارت إلى الباب.

ورغم خوفها من أن يعود ويحتضنها، ما زالت تتملكها بعض الدهشة من أن تكون لدى رجل بكل هذا الوقار والاتزان، مثل هذه المشاعر الغامرة.

جلس في سريره وراح يتأملها من رأسها حتى قدميها، ثم سألها متحدياً: «لم ترتدين ثيابك؟».

- إنه الصباح.

ثم تذكرت سبب حضورها: «ربما لدينا مشكلة».

- لا تقولي إنك لم تستطيعي فتح الباب الأمامي.

لقد تكهن بأنها كانت تريد أن تهرب. ولم تزعج نفسها بالإنكار، بل قالت: «كنت في الواقع سأستعمل الباب الخلفي لكنني فكرت في أن الأفضل أن أنذرك أولاً. الصحافة!».

- تباً لذلك!

كانت تنتظر منه رد فعل لكن ليس بهذا العنف.

دفع عنه الغطاء ووقف. حدقت إليه ذاهلة ثم أدارت ظهرها بسرعة لتقول متلعثمة: «أنا. . أنا. . سوف أنتظرك في الممر».

ارتسمت ابتسامة ضعيفة على فم سنكلير. خجولة؟ لا أحد يتوقع منها ذلك، لكن تاري نيمو لا يمكن التنبؤ بشخصيتها أو بتأثيرها عليه.

هز رأسه وهو يعقد ربطة عنقه فوق قميص أبيض. ثم اتخذ شخصية الرجل المسؤول قبل أن ينضم إليها في الردهة حيث بدت على استعداد للهرب في أول فرصة.

سألها عندما وصل إلى آخر السلم: «هل أخبرت مديرك أين أنت؟»

فقالت بحدة: «لا، لم أفعل. إذا كنت تبحث عن ثغرة تتسرب منها الأسرار، فاسأل المستشفى».

لم يجادلها: «ابقي هنا وسأذهب لأتكلم معه».

عبست للهجته المتعالية لكنها لم تحاول أن تتبعه وهو يفتح الباب ويخرج إلى الفناء الخارجي.

سارت إلى مكتبه لتلقي نظرة من خلف الستائر فرأته وهو يقف بجانب البوابة ليتقدم منه رجل من الناحية الأخرى ثم يجري بينهما حديث قصير.

حيّرها تصرف سنكلير حين فتح البوابة وسمح للغريب بأن يدخل ليسيرا معاً نحو المنزل. كان الرجل من عمر سنكلير لكنه أقصر منه ووسيم للغاية، وهو يرتدي بذلة كحلية أنيقة وربطة عنق حمراء. كان يضحك لشيء ما فيما بقي سنكلير عابس الوجه.

سمعتهما يدخلان إلى الردهة وكان الغريب يقول متفكهاً: «هل نسيت ذلك حقاً؟».

- الأمر ليس مضحكاً إلى هذا الحد.

- بل هو كذلك!

- أتذكر أنك أنت نسيت اجتماعات عدة هامة.

- أنا؟ نعم. الكثير منها في الواقع. لكننا نتحدث عنك أنت الموثوق به مئة بالمئة.

- لا بأس. أرح نفسك يا رايس.

عندئذ، ظهرت تاي وقد أدركت أن رايس ليس صحفياً.

نظر صديق سنكلير إليها مدهوشاً ثم بدا عليه الإستحسان: «اتضحت الأمور الآن. وهذا إلهاء جيل، إذا سمحت لي بهذا القول».

تجاهلت المديح الواضح، ثم نظرت إلى سنكلير متسائلة، فقال: «يبدو أنه من المفروض أن أحضر مؤتمراً اليوم».

كان انزعاجه واضحاً وأدركت تاي انها من ألهاه على الأرجح وإن لم

يكن بالشكل الذي عناه الرجل الآخر.

وأضاف سنكلير: «هذا الدكتور ويلهامز، من زملائي».

- زميل؟ أنا أحد أصدقائه القدامى واسمي رايس، بالمناسبة.

مد الرجل يده يصافحها ثم ساد الصمت بانتظار أن يكمل سنكلير مهمة التعارف ولكن عبثاً. فتطوعت هي: «وأنا تايري. تايري ماكلود، المرافقة الجديدة لابنته».

وكان هذا الاعداد من وحي اللحظة. تبدّلت تعابير سنكلير من الحملقة فيها إلى التقطيب الهادىء فافترضت أنه رضي عن ذلك.

وقال رايس: «تايري؟ انه اسم اسكوتلندي جيل...».

فأومأت: «هل تعرف اسكوتلندا؟».

- لقد أمضيت الكثير من عطلاتي في «أرغيلا». علينا أن نتحدث عن ذلك يوماً ما.

ابتسمت تاي بأدب، ومرة أخرى رأت سنكلير يرمقها بنظرة غاضبة، ثم قال: «ربما بإمكانك أن تحضري القهوة يا تايري».

- نعم، طبعاً يا سيدي.

قالت هذا بأدب ساحر، ثم استدارت على عقبيها متجهة إلى المطبخ.

سمعت رايس يقول: «أين وجدتها؟ ثمة فرق كبير بينها وبين إيزابيلا المجنونة من أسبانيا».

- إنها مؤقتة، لهذا لا لزوم لأن تضيع وقتك في الثرثرة معها.

- سأتذكر ذلك عندما تبدأ بحلاقة ذقنك بينما أشرب أنا القهوة.

وصدرت عن رايس ضحكة أثارت طبع صديقه السيء.

وضعت تاي إبريق الماء على النار وإذا برايس عند الباب. منحها ابتسامة ساحرة وقال: «منذ متى وأنت هنا؟».

- منذ الليلة الماضية فقط.

أجابته بلهجة متحفظة فعاد يسألها: «هل أنت تلميذة؟»

فوجدت الكذب أسهل: «نعم».

لكن الكذبة تجر كذبات: «ماذا تدرسين؟».

- العزف على الكمان.

رفع حاجبيه: «أحقاً؟ هذا شيء جميل، ومربح أيضاً كما أعتقد. فتيات مثيرات مع الكمان...».

توقفت تاي عن طحن القهوة وألقت عليه نظرة جانبية تحمل شيئاً من الازدراء.

فهم رايس ما تعنيه، لكنه استطاع أن يغطي الإحراج بطبيعته المرحة.

كان في ابتسامته العريضة من الاستخفاف بالذات ما جعلها تبادله ابتسامته. لكن الابتسامة تبددت في الحال عندما رأت سنكلير في العتبة يحملق فيها.

- عمّاذا تتحدثان؟

فأجابه رايس بسعادة بالغة: «عن الفتيات المثيرات وهن يعزفن الكمان».

لعله يتساءل كيف وصلا إلى مثل هذا الموضوع فيما لم يتركهما وحدهما سوى منذ أقل من دقيقة. قال بتهكم بالغ: «حسناً، آسف لأني قاطعت هذا الحديث الثقافي. لكنني أرى أن تذهب أنت وحدك إلى المؤتمر من دوني».

فقال رايس وقد فوجيء: «وكيف يمكنني ذلك؟ لا تنس أنك أحد المحاضرين».

فقال سنكلير بتواضع: «محاضرتي صغيرة وأشك في أن يفتقدني أحدهم أو يلاحظ ما إذا تكلم أحد آخر بدلاً مني».

وألقى نظرة ذات معنى على رايس، الذي هز رأسه: «إنس الأمر. معلوماتي عن سل الأطفال قليلة جداً، ولن أغامر بعرض جهلي... ما هي المشكلة على أي حال؟».

تحولت عينا سنكلير إلى تايري وبدا واضحاً أنه يعتبرها جزءاً من ذلك.

فقالت بابتسامة مرغمة: «سأكون على ما يرام».

لم يحوّل عينيه: «هناك الويز أيضاً».

فقال رايس: «الويز؟ لا تقل لي إن عطلة المدارس الصيفية ابتدأت».

- شيء من هذا القبيل.

نظرت تايري إلى سنكلير وكأنها تقول إن دورها حان فرأت الذعر على وجهه لفكرة ائتمانها على ابنته.

تأوهت ساخطة وراحت تحضّر القهوة بعد أن سمعت إبريق الماء يغلي.

وبعد حين أضاف سنكلير: «الويز لا تعرف الآنسة ماكلود جيداً. لقد وصلت أمس فقط».

فقال رايس: «ستنسجمان معاً. أنا واثق من ذلك يا سنيك. الويز بنت طيبة».

فقالت تاي وهي تضع الأكواب على المائدة: «نعم، هكذا تبدو».

كانت تاي متلهفة إلى فنجان قهوة لكن سنكلير أمسك بمرفقها قائلاً: «تناول القهوة وحدك يا رايس بينما أتحدث أنا إلى الآنسة ماكلود».

لم تجد تايري وقتاً لتعترض فسارت معه إلى مكتبه حيث لم يعد صوتهما مسموعاً. وما إن أغلق الباب حتى انفجر قائلاً: «لماذا ادّعيت أنك مرافقة الويز فجعلته يفهم أنك سترعينها؟ كيف تتوقعين مني أن أتخلّص من المؤتمر الآن؟».

تملكها شعور بالتفوق، فقد يعتبرها غير مستقرة لكنه يصاب بالذعر أمام المشاكل.

قاومت رغبتها في أن تقول هذا، ثم هزت كتفيها وردت: «سأرعى الويز إذا شئت أن تذهب إلى المؤتمر».

كان هذا عرضاً كريماً منها قابله هو بارتياب فوري: «ولماذا تفعلين ذلك؟».

فأجابت بحدة: «ولما لا أفعله؟ هذا ليس بالأمر الصعب. إنها، كما قال صديقك، فتاة طيبة».

- نعم، هي كذلك. لكنها تصبح صعبة أحياناً.

فقالت بجرأة: «أعتقد أن هذا رأيها».

بدا على وجهه طيف ابتسامة: «ربما».

لم تشأ أن تتوسل إليه ليمنحها هذا الامتياز، فقالت: «الخيار لك على أيّ حال، فليس لديّ مشاريع أخرى. وقبل أن تسألني أقول لا، لن أخبرها عن شخصيتي، كما أن بإمكانك أن تعتمد عليّ في رعايتها كما يجب».

بدت عليه لمحة من الغيظ لأنها قرأت أفكاره، ثم عادت عيناه تتسمران على عينيها تقرآن أفكارها.

وفي هذه اللحظة ظهرت إلويز وهي تتثاءب: «أبي، لماذا رايس هنا؟».

ـ أراد أن يأخذني إلى مؤتمر في «برمينغهام».

ـ آه، هذا حسن.

وأشرق وجهها حين سألته: «هل هذا يعني أنك لن تعيدني إلى المدرسة؟».

قال سنكلير: «لا أستطيع أن أتركك وحدك».

فقالت إلويز تخاطب تاي: «مامن مشكلة، أنت لن تذهبي إلى ذلك المؤتمر المملّ، أليس كذلك؟».

فقال سنكلير بوقار: «الآنسة ماكلود...».

لكن إلويز قاطعته تخاطب تاي: «هل هذا هو اسمك؟ هل عليّ أن أخاطبك بهذا الاسم؟ هذا يجعلك تبدين عجوزاً مثل السيدة إندروز مدبرة المنزل... أو بابا».

وأنهت إلويز كلامها بابتسامة عريضة وقحة وجهتها لأبيها.

توقعت تاي ثورة أخرى من سنكلير، لكنه بدا أميل إلى الذهول.

وعاد يقول: «يا آنسة ماكلود...».

هذه المرة قاطعته تاي، مخاطبة إلويز: «أنت على صواب. هذا الاسم يجعلني أبدو كعانس عجوز. يمكنك أن تناديني تايري».

ـ تايري؟

أخذت إلويز تردد الاسم وكأنه يذكرها بشيء، لكن الارتياح تملك تايري وسنكلير عندما أضافت ببساطة: «اسم مختلف. لكنه أعجبني».

فابتسمت تايري «شكراً»

فقالت إلويز وأفكارها تتسابق: «يمكننا أن نخرج».

فقال سنكلير «تخرجان؟ إلى أين؟»

كانت تايري تعرف ما تريده فتاة في الثانية عشرة: «ربما إلى السوق. لكنني، لسوء الحظ، تركت حقيبة يدي في البيت».

فقالت إلويز «بقي لدي بعض النقود من عيد ميلادي ويمكنني أن أقرضك أو ربما يعطينا أبي بعض النقود»

ترددت تايري حين تذكرت الصحافة، فالصور التي أخذت لها تظهرها على حقيقتها. لكن إزاء نظرات إلويز الضارعة، أومأت موافقة.

لكن سنكلير كان ما زال يقاوم فكرة إئتمان تاي نيمو على ابنته.

حدق إلى تايري. بدت من دون زينة على وجهها ذات جمال طبيعي وملامح ممتازة وعينين هما من الاخضرار بحيث تجذبانه في كل مرة ينظر فيها إليها ابتسامتها جعلتها تبدو أكبر من إلويز بقليل، لكنها أقل براءة طبعاً.

وتشبثت إلويز بذراعه متوسلة: «هل يمكنك هذا يا بابا؟».

وشعر بالاضطراب فهو يريد أن تكون ابنته سعيدة.

بقي صامتاً، لكن إلويز استطاعت أن تفهمه، فطبعت قبلة على وجنته وهي تهتف «شكراً، يا بابا، سأرتدي ثيابي».

وقبل أن يناديها لتعود، كانت قد خرجت من الغرفة، وبقي هو مع تاي التي راحت تتأمله بفضول فزمجر: «أنا لم أوافق».

ـ لا أنت لم توافق. رغم أنني واثقة من أنك أنت الذي رأيته طوع بنانها.

فقال مدهوشاً: «أتعنين أنني متساهل أكثر مما يلزم؟».

ـ نعم. رغم أنني أراك تريد أن تعوّض.

يعوّض عن ماذا؟ وتابعت تقول: «على أيّ حال، هذا عائد إليك، لكنني سأهتم بها جيداً».

ونظرت إليه مباشرة. فالخيار خياره. إما أن يثق فيها وإما لا.

وجد سنكلير نفسه يومىء بالإيجاب

قال له رايس متكهناً بمزاجه: «أنا واثق من أنهما سنكونان على ما يرام. يبدو أن تايري فتاة عظيمة»

عرف سنكلير من قبل رأي صديقه في تايري. فبعد أن حلق ذقنه عاد إلى المطبخ ليكتشف صداقة توطدت بين الإثنين.

وضع بعض الأوراق المالية على مائدة المطبخ قبل أن يخرج مودعاً باختصار.

يكاد يقسم أنه سمعها تمتم (متغطرس) وهو يبتعد لم يكن الصوت مرتفعاً بما يكفي لكي يتأكد، لكن رايس كان يقاوم الابتسام وهما يغادران البيت.

وعندما اتجهت بهما السيارة نحو الشمال، قال رايس. «إنها، في الواقع، بالغة الجمال».

- من تعني؟

- تايري، أو الآنسة ماكلود كما تصرّ أنت على أن تدعوها.

- وما العيب في ذلك؟

- لا شيء، إذا أردت أن تعيد عقارب الزمن نصف قرن إلى الوراء.

وضحك رايس بينما عبس سنكلير.

- مضحك جداً.

- لكنها جميلة حقاً. وجه رائع الجمال وجسم متناسق، هذا إلى ذكاء حاد.

شعر سنكلير بالضيق لإعجاب رايس الفوري بتايري، فيما كان هو بطيئاً في تقديرها. فأجاب بتثاقل: «عهدي بك تحب الشقراوات الناهدات، ذوات الشعر الطويل، وغير الذكيات».

فتظاهر رايس بالاستياء: «سأجعل من آنستك ماكلود حالة استثنائية».

- إنها ليس آنستي أو أي شيء. كما إنها فتاة وليست امرأة.

فقال رايس بابتسامة عريضة: «أتعني أنها صغيرة بالنسبة إلي؟».

لم يجب سنكلير، لكن وجهه كان معبراً بما يكفي.

وردّه صوت رايس إلى حاضره: «سنيك؟».

- نعم؟

- أنا لم أجرحك، أليس كذلك؟

فأجابه سنكلير بجفاء: «ليس أكثر من المعتاد».

- أنا أشعر فقط أنك تعيش لكي تعمل، بدلاً من أن تعمل لتعيش.

فنظر إليه سنكلير متوعداً: «لماذا لا تخرس وتقود سيارتك؟».

لحسن الحظ، امتثل رايس للأمر لكنه بقي يبتسم. كان ذهن سنكلير مشغولاً بموت ابنه بالتبني. أراد أن يعلم الحقيقة، وما الذي جعل كيت من التهور بحيث يدور حول المنعطف بسرعة تسعين كلم في الساعة؟

كان واثقاً من أن مفتاح الحل هو تاي نيمو. كان يعلم أن كيت أحبها. وبعد أن قابلها، فهم سبب انجذابه إليها بشكل أفضل.

كانت تفيض بسحر غريب. فحتى إن لم تحبها، تتسلل إلى نفسك وتجعلك مجنوناً نوعاً ما. هل هذا ما فعلته بكيت؟

***

٧ ـ سلسلة من الأكاذيب

كانت تايري تنتظر في غرفة الاستقبال. وكانت قد استمتعت بالنهار، فالمتاجر لم تكن مزدحمة كما لم يتعرّف إليها أحد. لكن أحياناً، كانت أفكارها تعود إلى سنكلير والدقائق التي أمضياها معاً في الصباح

فكرت في دوافعه. كان رجلاً معتاداً على صحبة النساء، وقد استيقظ فوجد نفسه بجانب جسد دافىء فسمح للغريزة بأن تجرفه. إنها نكرة بالنسبة إليه، بل أقل من نكرة كما يبدو من الطريقة التي ينظر فيها إليها أحياناً.

الغريب حقاً هو رد فعلها هي. فقد بلغت الثالثة والعشرين من دون أن تختبر أياً من المشاعر المحمومة التي تتحدث عنها الأغاني والكتب. وها هي تشعر بها أخيراً! كان أمراً لا يصدق، إذ جاء في أسوأ وقت وأغرب موقف مع آخر رجل يحتمل أن تكون معه.

وعند الظهر، لم تعد تحاول أن تفهم كل ذلك، وأخذت تركز على الا تسمح لمثل هذا الجنون بأن يتكرر ولهذا وقفت عند النافذة تعد الدقائق إلى حين حضور الرجلين.

وعندما انفتحت البوابة أخيراً، كانت مستعدة فركضت إلى الفناء تستقبلهما.

عند وصولها أنزل رايس زجاج نافذته: «كيف حالك؟»

ـ بأحسن حال.

بادلته ابتسامة متجاهلة عبوس سنكلير الجالس بجانبه.

سألها وكأنه يخاف أن تكون قد فقدت ابنته في مكان ما: «أين إلويز؟»

كبحت تايري آهة: «إنها في غرفتها تستمع إلى الموسيقى».

لم يبد عليه الرضى. وتساءلت تايري أي جريمة اقترفت الآن. حين نزل من السيارة ومدّ يده إلى المقعد الخلفي يخرج حقيبة أوراقه، اغتنمت الفرصة وقالت للرجل الآخر: «يا سيد ويليامز...».

ـ رايس، أرجوك.

ـ رايس.. عليّ أن أعود إلى بيتي الليلة. أرجو أن توصلني إلى حيث أستطيع أن أستقل سيارة أجرة.

ـ ما من مشكلة، يمكنني أن أوصلك إلى بيتك. أين تسكنين؟

ـ ليس في مكان قريب منك.

جاء الجواب من سنكلير الذي أضاف: «ثم، أليس لديك موعد على العشاء؟»

فقال رايس بابتسامة عريضة أخرى لتايري: «يمكن إلغاؤه».

هبط قلبها. لم يقلقها عدم رضى سنكلير لكنها لم تتوقع أن يهتم صديقه بها وكان هذا يضيف: «يمكننا أن نتناول العشاء في طريقنا».

ـ أنا... هذا لطف منك... لكنني...

وحاولت أن ترفض بطريقة مؤدبة. لكن سنكلير لم يزعج نفسه بالأدب، واستعد لتهديد رايس الذي رفع حاجبه متسائلاً مخاطباً تايري: «نعم؟»

ـ تباً لك!

من المدهش أن رايس تقبل ذلك بشكل حسن. فقد ابتسم لتايري معتذراً وأدار المحرك ثم قال لسنكلير قبل أن ينطلق وهو يلوّح بيده من نافذة سيارته «أنت لا ترحم ولا تدع الرحمة تنزل».

عقدت تايري ذراعيها على صدرها وأخذت تنظر إلى وسيلتها للهرب وهي تختفي.

ـ لا حاجة لأن تطلبي من رايس أن يوصلك إلى بيتك. سأوصلك أنا إذا شئت

- تصورت أن هذا أسهل، وصديقك لم يرفض.

قال بلهجة جعلتها تستدير لتواجهه: «هذا واضح».

توقعت أن ترى الازدراء على وجهه، لكنها رأت شيئاً صعب عليها تحديده. لعله تعب! ربطة عنقه المحلولة وقميصه المفتوح ينبئان عن رجل أمضى نهاراً شاقاً.

- كل ما أريده هو الوصول إلى بيتي.

- أشك في أن هذا ما يريده رايس.

- ما الذي فعلته إذن؟ حميتني منه أم حميته مني؟

ردّ بجفاء: «لا هذا ولا ذاك. ربما كنت غيوراً فقط».

افترضت أنه يمزح فضحكت، لكنه لم يبادلها الضحك. وأخيراً قالت: «هذه سخافة».

- نعم، أليس كذلك؟.

نظرت إليه متسائلة عن نوع اللعبة بينهما الآن فأجابها بنظرات ثابتة تقول إن ما من لعبة.

وقفا هناك تشدّهما إلى بعضهما جاذبية لا يمكنهما الإفصاح عنها. كانت هي من التوتر بحيث قد تهرب لو حاول أن يلمسها. لكنه، بدلاً من ذلك، أخذ يجول ببصره على وجهها الذي يبدو أجمل كلما رآها، وعلى جسدها الذي أخذ رايس يصفه وهما قادمان إلى المنزل.

لم تعرف تابري كيف تتصرف وإيوان ستكلير الطبيب يعرّيها بنظراته، جزء منها أراد أن يحتج، لكنها احمرّت خجلاً. ما الذي يحدث لها؟

عاد يرفع بصره إليها، لكنها لم تبادله النظر هذه المرة. وخوفاً من أن تكشف مشاعرها، ولت هاربة إلى البيت.

أخذ ينظر إليها وهي تبتعد بشكل فسّره بأنه توتر عصبي.

ربما كان رايس على صواب، لعله بحاجة ماسة إلى حياة عاطفية. وما غير ذلك يجعله يرغب إلى هذا الحدّ في فتاة غير مناسبة له؟

تبعها إلى الداخل وهو يفكر في إصلاح الوضع، وسار في إثرها إلى

المطبخ حيث وجدها جالسة إلى المائدة تقطع الخضار. ألقت عليه نظرة سريعة قبل أن تتابع عملها. لم يستطع أن يفكر في شيء. كيف يمكن لرجل أن يعتذر لتحديقه إلى مفاتن امرأة؟ هذا صعب.

سألها بعد أن أدرك أنها تعد الطعام للجميع: «أتريدين أن أساعدك بشيء؟».

- ربما بإمكانك أن تقطّع الدجاج إلى شرائح للشيّ.

أومأ وأحضر سكيناً أخرى من الدرج: «كيف صداعك الآن؟».

- جيد.

- وكاحلك؟ من الأفضل أن تريحيه اليوم.

- لا بأس به، باستثناء بعض الوخز أحياناً. استطعت أن أجلس فيما كانت إلويز تجرّب الملابس.

- كيف حالها؟

- بأحسن حال. لا علاج مثل التسوّق. لقد أنفقت نقودك كلها.

- هذا ما أردتك أن تفعليه.

- تناولنا الغداء في المدينة، واشترت إلويز بعض الملابس الجديدة.

- ملابس من أي نوع؟

فهمت ما يفكر فيه: «لا تخف! لا شيء مما تلبسه الشقراوات الغاويات».

إنها كلماته التي تلفظ بها في الأمس. أتراها تختزن كلماته الجارحة كلها؟ ووجد نفسه يقول متوسلاً: «اسمعي، هل سنبدأ مرة أخرى؟».

توقفت تابري عن تقطيع الخضار وتمالكت نفسها بما يكفي لتلقي عليه نظرة باردة. فتابع يقول: «لم أكن أعني أنك ستشجعين إلويز على شراء ثياب غير ملائمة، فأنا أعلم جيداً ما تميل إليه هي. وقد تشاجرنا حول هذا الموضوع».

- لا تأخذ هذا الموضوع بجدية كبيرة. إنها تحاول فقط أن توتر أعصابك.

- توتر أعصابي؟

لم تعلم تايري ما الذي لم يفهمه فقالت: «لقد اختارت ملابس فاضحة لكي تختبر ردة فعلك. وتبدأ أنت بالشجار إلى حد تظهر فيه عدم التعقل، فتظهر هي استياءها بالبكاء وتلجأ إلى الصمت. وفي النهاية هي التي تربح»

- لقد صوّرت المشهد كما هو. ولكن كيف تربح هي؟

- المراهقات لديهن ما يكفي من الوقت لذرف الدموع بعكسك أنت. عندئذ، تبدأ أنت بالتزلف إليها ورشوتها لكي ترضى.

فسألها: «وما هو البديل؟».

فهزت تايري كتفيها: «لا أدري. ربما أن تتجنب منذ البداية ما يدعو إلى الشجار».

فقال بذعر: «وأدعها ترتدي ما تريد؟».

فأومأت: «يمكنك أن تجرب ذلك، فالانحراف يتعلق بالقناعة أكثر مما يتعلق بالملابس».

- لقد حيرّتني.

وقررت أن تكون أكثر صراحة: «أنت خائف من أن تبدأ إلويز في الخروج مع أيّ شاب في عمر مبكر، أليس كذلك؟»

- نعم.

ولم يعرف سنكلير ما إذا كان يجد صراحة تايري منعشة أم مزعجة

- حسناً، عدا عن حبسها في غرفتها في السنوات الخمس القادمة، لن تتمكن من التحكم في تلك الناحية من حياتها. سيعود الأمر إليها إذا كانت قادرة على أن تتحمّل الضغط.

- ضغط الفتيان؟

- ضغط صديقاتها أيضاً. . . وهن يسألنها عما إذا كانت تحب فتى ما أم لا، فيجعلنها تشعر بأنها غريبة عن المجموعة حتى تفعل.

فأجاب بأدب: «حسناً، أقدّر لك النصيحة. لكن هذا جزء لا يتجزأ من السبب الذي جعلني أرسلها إلى مدرسة داخلية».

ألقت عليه نظرة متسائلة عما إذا كان حقاً بهذه السذاجة. «وماذا تتصور؟ أن الصغيرات الغنيات لا يفعلن ذلك لأنهن جئن من بيوت غنية؟»

فقال وهو يتمنى لو لم يبدأ هذا الجدل لأنه شعر بأنه سيخسر: «ليس بالضبط، لكني وجدت فرص الاختلاط بالجنس الآخر قليلة عندما ارتدت المدرسة الداخلية»

فقالت بجرأة: «وفي أي قرن كان هذا؟»

زم سنكلير شفتيه، فهو ليس كبيراً في السن إلى هذا الحد: «أعرف أن الأمور تغيرت بعض الشيء»

فرفعت حاجبيها: «بعض الشيء؟ إنه عالم مختلف عن أيامك، حتى عن أيامي أنا. إسأل إلويز إن كنت لا تصدقني».

- أسألها عن ماذا بالضبط؟

وكان سينكلير يجاهد في إبعاد نبرة الغطرسة من صوته.

- عما إذا كانت الفتيات يتحدثن كثيراً عن الفتيان. . . وهل يقرأن مجلات المراهقات، وما هو رأي إلويز نفسها في العلاقات الغرامية العابرة؟

فقال وقد بدا عليه الذعر: «لا أستطيع أن أسألها عن هذه الأمور».

- ولماذا لا؟ ومن غيرك يمكنها التحدث إليه؟

حتى تلك اللحظة، لم يخطر في بال سنكلير أن ابنته بحاجة إلى مناقشة مثل هذه الأمور. فقال: «هناك رئيسة المدرسة، رئيسة لجنة الأهل»

أدارت تايري عينيها. «أتصور أن الفتاة تفضّل الموت على أن تناقش هذه الأمور مع أي منهما».

ثم نهضت وحملت الخضار والدجاج تاركة سنكلير يفكر في سخافته. أتراه حقاً حاول أن يتبنّى القيم والمبادىء الأخلاقية، فيما رغبته في شنق هذه الفتاة تتصارع مع رغبة مماثلة في أن يأخذها بين ذراعيه ويعانقها؟ وحقيقة أنها تعلم دون شك شعوره جعل الأمر أسوأ.

أدركت تايري أنه يراقبها وهي تحرك الطعام.

www.romancia.com

بعد أن انتهت من الطهي، خرقت الصمت السائد: «من الأفضل أن تستدعي إلويز».

خرج إلى الردهة يصرخ منادياً ابنته من الطابق الأعلى قبل أن يعود إلى المطبخ.

دخلت إلويز إلى المطبخ مرتدية أحد الملابس التي اشترتها. كانت لا تزال مرحة بشوشاً: «مرحباً يا أبي، كيف سار المؤتمر؟».

ـ كان كئيباً للغاية، عدا مداخلتي طبعاً.

فقالت تقلد لهجته الساخرة: «طبعاً. أما نحن فسررنا جداً، وقد ساعدتني تايري في شراء ملابس جديدة».

ـ هذا ما أراه.

وأخذ يتأمل ابنته التي بدت أطول وأكبر سناً في تنورة قصيرة زرقاء وقميص أبيض كُتب على صدره (الرجال يكذبون). وكان لا يزال يفكر في ما إذا كان هذا يعجبه عندما شعر بنظرات تايري تنبهه لأن يقول الشيء المناسب، فقال متلعثماً: «إنه. . . ملائم تماماً!».

ـ ملائم؟ هل تظن هذا حقاً؟

فابتسم لها: «بكل تأكيد. وسأحاول ألا آخذ الشعار المطبوع على القميص على محمل شخصي».

قالت إلويز بابتسامة عريضة: «هذا لا يعنيك أنت يا بابا. إنه عن الرجال».

تملكه شعور بأنه أهين، وأثبت ذلك الابتسامة التي ارتسمت على وجه تايري. وفي الوقت نفسه نقلت إلويز انتباهها إلى الطعام الذي وضعته تايري على المائدة.

كانت قد طهت الخضار والدجاج في مقلاتين منفصلتين ووضعت في صحنها مزيجاً من الفطر والفلفل والكرفس والذرة. ولاحظت إلويز أنها تجنبت اللحم فسألتها: «ألا تحبين الدجاج؟».

ـ أنا نباتية.

فقالت إلويز وهي تكوّم الدجاج في صحنها: «أنا تقريباً كذلك».

فسألها أبوها رافعاً حاجبه «منذ متى؟»

فأجابت مازحة «منذ أكلت اللحم المفروم في المدرسة. أظنهم يتعمدون أن يكون الطعام سيئاً كيلا يأكل أحد».

فقال يبطء «يا لها من نظرية ممتعة! ربما سأعرضها على الآنسة هيسلويت حين أعيدك إلى المدرسة».

بدا واضحاً أنه يمزح لكن شيئاً من حيويتها تبخر عند ذكر المدرسة: «أبي يظن أن الطعام المقزز والفراش المتكتل يبنيان الشخصية. ما رأيك؟».

فأجابت تايري بلهجة رصينة «سأبقى بعيدة عن هذا النقاش».

لكن إلويز أضافت تطلب مساندتها: «أراهن على أن والديك لم يرسلاك إلى مدرسة داخلية».

ـ لا لم يفعلا، فقد ذهبت إلى مدرسة خاصة نهارية.

رفع سنكلير حاجبيه عند سماعه هذا. ألم تقل إن والديها متوفيان؟

ولمحت تايري نظرته المشككة الساخرة.

لقد اكتشفت في الماضي أن قصة حياتها تثير في نفس السامع الشفقة والفضول. يا للمسكينة! تخلوا عنها ساعة الولادة. ماذا كنت ترتدين؟ كم كان عمرك؟ وهي أسئلة يتعبها الرد عنها.

كانت تعلم أنها لن تتلقى رد الفعل هذا من هذا الطبيب القاسي الذي ينظر إليها الآن بهذه الملامح الساخرة.

بادلته التحديق تتحداه أن ينعتها بالكذب. وأخيراً قال يتحداها: «هل أرسلك أبواك إلى تلك المدرسة؟».

فقالت بلهجة واقعية: «والداي بالتبني».

ـ هل أنت متبناة؟

ـ نعم.

ـ لا بد أنهما كانا يحبانك حتى يدفعا نقودهما لتعليمك.

قال هذا بارتياب فردت: «أنت تعرف مدى حبهما لي حينذاك».

- وماذا عن «مؤسسة رعاية الأولاد»؟

فهزت كتفيها من دون أن تجيب

قالت إلويز تذكرهما بوجودها: «أي مؤسسة؟»

فأجاب أبوها: «ما من شيء مهم».

ثم عاد إلى موضوعه: «صدقيني، ثمة أولاد لم يكن لهم مثل حظك»

أدركت تايري معنى قوله، لكن الأولاد أمثال إلويز نادراً ما يشكرون الله على نعمه فهم يريدون كل شيء.

اكتأب وجه إلويز قبل أن تقول: «لماذا لا تبحث يا بابا عمن تقدم لهم مكاني ما دمت تراني ناكرة للجميل؟».

- إلويز، إذا كنت تعتبرين هذا مزاحاً . . .

فبادله التكشير: «لا، ليس كذلك، ولا المدرسة الداخلية، وإن كنت لا أتوقع منك أن تفهمني».

- بل أفهمك أكثر مما تتصورين. كنت في الثامنة عندما ذهبت إلى مدرسة خاصة. أتذكر أنني كنت تعيساً إلى حد ما، لكن الوضع سيتحسن. عليك فقط أن تصبري قليلاً.

أدارت إلويز عينيها: «أصبر؟ وماذا تسمي عشرة أشهر؟ أسوأ عشرة أشهر في حياتي!».

عندئذ، تدخلت تايري بذكاء: «المعذرة، لكن ثمة ناحية من الحياة لا أحب أن أتذكرها، وهي الشجار على الطعام، لذا إذا أرجأتما هذا الشجار إلى ما بعد ذهابي، أكن شاكرة».

كانت تايري تعني ذلك، فقد بدا لها شجارهما دون فائدة.

فكر سنكلير في أن يبدي سخطه لكنه عاد فسكت، وهو يراها على صواب. لماذا يتشاجر مع إلويز أمام انسانة غريبة تماماً؟

قالت لإلويز لتغيّر الموضوع: «كيف وجدت الأشرطة الغنائية؟».

تشبثت إلويز بلهفة بهذا الموضوع: «إنها عظيمة حتى أنها أحسن من الأشرطة القديمة».

ووجهت الحديث إلى أبيها «تايري تعرف الكثير عن الموسيقى، فقد اعتادت أن تعمل في محل للموسيقى».

- أحقاً؟

- منذ وقت طويل. عندما كنت تلميذة.

فقال معلقاً: «إنها فتاة متعددة المواهب».

مزيد من عدم التصديق. . . لكن تايري تجاهلت ذلك.

لم تستطع إلويز أن تقرأ بين السطور فقالت: «الموسيقى الوحيدة التي يحبها بابا هي تلك التي يعزفها أناس ميتون».

فقال مخاطباً تايري: «لا أتصور أنك من أنصار الموسيقى الكلاسيكية».

- ولم لا؟

أتراه يجدها من عدم الثقافة بحيث لا تقدّر الموسيقى الراقية؟ وأضافت: «أحب أن أسمع بيتهوفن وفيردي وبعض أعمال ماهلر، لكنني أفضل العزف لرافيل وفيفالدي».

- العزف؟ أتعنين على آلات موسيقية؟

- على الكمان.

هذا يفسر إشارة رايس إلى ذلك هذا الصباح: «ما مبلغ مهارتك؟».

- يمكنني أن أعزف أي لحن.

وقاومت رغبتها في أن تخبره بأنها درست في «الأكاديمية الملكية» في غلاسكو.

ضاقت عيناه تحدياً: «يا لها من مصادفة، لقد تعلمت إلويز العزف على الكمان فترة وأنا واثق من أن كمانها ما زال موجوداً، ربما بإمكانك أن تعزفي لنا في ما بعد».

كان يحاول أن يفحمها، لكنها قالت: «أكيد، ولماذا لا؟».

نقلت إلويز نظراتها بين الإثنين، واعية لوجود معنى خفي لهذا الحديث، وقالت: «سأذهب لأحضر الكمان الآن، إذا شئت».

مضت لحظة من دون أن يجيب أي منهما، وبقيت عينا سنكلير على

www.elromancia.com

تايري منتظراً منها أن تجد عذراً ما، لكنها ابتسمت بعدم اكتراث.

وأخيراً، أجاب: «لا. أنهي طعامك أولاً يا إلويز».

فأضافت تايري بجرأة: «كيلا ينفركما عزفي».

فانكمشت إلويز في كرسيها: «لا يمكن أن يكون عزفك أسوأ من عزفي. كنت أفضل أن أتعلم العزف على القيثارة لكن أبي خاف أن أهرب لألتحق بفرقة موسيقية مثل كيت».

تدخّل سنكلير بحدّة: «لا، هذا غير صحيح. لكنني لم أكن مقتنعاً».

فقالت إلويز وعيناها مغرورقتان بالدموع: «كان لامعاً للغاية».

فقالت تايري من دون انتباه: «نعم، كان كذلك».

فسألتها إلويز بسرور: «هل كنت تسمعينه؟».

ردّت تايري بحذر: «بضع مرات فقط».

- يا لك من محظوظة! أردت أن أشاهده على المسرح، لكنني كنت صغيرة جداً. اشتريت كل أشرطته. هل تحبين أن تستمعي إلى بعضها في ما بعد؟

تنقّلت نظرات تايري بين ملامح إلويز المتلهفة ووجه سنكلير المحذر، وأخيراً قالت للفتاة: «أنا مضطرة للذهاب إلى بيتي حالاً».

فقالت الفتاة: «ألا يمكنك البقاء ليلة أخرى؟ غداً هو السبت؟».

ووجهت الحديث إلى أبيها متوسلة: «لن تأخذني إلى المدرسة قبل الأحد، أليس كذلك؟».

فقال: «إذا أنهيت طعامك، أقترح أن تصعدي إلى غرفتك وتكتبي رسالة اعتذار إلى الآنسة هيسلوب».

فقالت إلويز عابسة: «آه بابا. هل أنا مضطرة لذلك؟ ستكون فظيعة معي».

- هذا أقل ما عليك أن تفعليه. وبعدئذ، تذهبين إلى سريرك مباشرة.

نظرت إلى تايري متسائلة: «هل تسدين خدمة وتجعلين أبي يدرك أنني لم أعد في السادسة؟».

- سأبذل جهدي.

وردّت ابتسامة الفتاة العريضة، متجاهلة نظرة سنكلير الحجرية ثم قالت له: «لم تعد في السادسة».

- أعرف هذا جيداً، لكنها لم تصبح كذلك في الثامنة عشرة.

- ستصبح كذلك يوماً ما.

- وما المقصود؟

ورفع حاجبه متحدياً لكنها فضلت أن تتجاوز هذا الموضوع فقالت: «لا شيء».

- أما من حكم أخرى لمواجهة المراهقات؟

- إذا كان هذا طلباً للنصيحة كالتي قدمتها لك من قبل، فأنا لم أنصّب نفسي خبيرة.

فقال بخيبة أمل مصطنعة: «لا؟ ظننت أن علم نفسية الأطفال هو أحد مواهبك الكثيرة».

- في الواقع ليس لدي شهادات جامعية بل مجرد القليل من الشهادات المدرسية، لذا يمكنك أن تشعر بالتفوق كما تشاء يا دكتور سنكلير. وفي الوقت نفسه، لا أراك تمانع إذا استعملت هاتفك في استدعاء سيارة أجرة.

ونهضت عن كرسيها بعنفوان بالغ واتجهت إلى الباب.

- إسمعي يا تايري...

حاول أن يناديها لتعود، لكنها أدارت له أذناً صماء.

أخذ يشتم بصوت خافت، مصمماً على ألا يتبعها هذه المرة. وليدعها تختفي في ظلام الليل فهو واثق من أنه لن يحزن عليها.

كان عليه أن يتركها تذهب مع رايس فهما متلائمان، لأن رايس لن يهتم إذا كان حديث هذه الفتاة سلسلة من الأكاذيب ما دام بإمكانه أن يصل إلى غايته.

بإمكانه أن يتصورهما معاً بسهولة لكن المشكلة هي أن هذه الصورة تجعله أشبه بالمجنون.

٨ ـ نزوة عابرة

كانت تايري تهنىء نفسها لأنها ضايقته إلى حد أنه لم يلحق بها، حين ظهر فجأة على باب المكتب. كانت لا تزال تقلب صفحات دليل الهاتف الذي وجدته على مكتبه.

ـ ما الذي تبحثين عنه؟

ـ شركة سيارات أجرة.

اختارت رقماً ورفعت السماعة فأقفل الخط بإصبعه.

ـ كنت أظنك لا تحملين أي نقود.

ـ لديّ نقود في الكوخ.

وانتظرت منه أن يرفع إصبعه لكنه أخذ السماعة من يدها ووضعها مكانها.

وقف أمامها والعبوس والتصميم مرتسمان على وجهه، لكنها لم تكن خائفة، فهو لن يستطيع إرغامها على البقاء هنا. وتمتمت: «هذا غباء. يمكنني أن أنزل إلى القرية وأتصل من هناك».

ـ قلت إنني سآخذك إلى بيتك، وسأفعل. ولكن من الأفضل أن تقرأي صحيفة المساء أولاً. انتظري هنا حتى أحضرها.

خرج إلى الردهة، وسمعته يفتح حقيبة أوراقه ثم يعود بصحيفة مجعدة ويقفل البابَ خلفه.

شعرت بتوتر في أعصابها فسألته: «ما الذي تفعله؟».

ـ كيلا تهاجمنا إلويز.

وفتح الصحيفة على المكتب أمامها: «اشتريت هذه من محطة البنزين. إنها ليست ما اعتدت قراءته لكنها لفتت نظري».

وغاص قلبها. كانت صورتها تحتل الصفحة الأولى.

رأت صورة صغيرة التقطت لها أثناء مغادرتها المستشفى أمس، وقد كتب تحتها (هل هذا هو وجه تاي نيمو الحقيقي، فتاة الروك المتوحشة؟).

تأوهت قبل أن تقلب الصفحات إلى الصفحة الرابعة حيث المقالة الرئيسة وأخذت تقرأ عن إقامتها القصيرة في المستشفى واختفائها. وتكهّنت الصحيفة بأنها أدخلت إلى المستشفى بعد إصابتها بانهيار عصبي. وقد أنكر مديرها علمه بمكانها الحالي... مكذباً الاشاعات التي تقول إنها مفقودة.

وعندما ألقت الصحيفة جانباً باشمئزاز، قال سنكلير: «ظننتك اتصلت بمدير أعمالك».

ـ هذا صحيح، لكنه يستغل الوضع لبيع مزيد من الأشرطة.

فقال متأملاً: «وبهذا تزداد أرباحك أنت».

ردّت بغضب: «أنا لست طرفاً في هذا، ألا تفهم؟ هذه الصورة قد تقضي على أي أمل لي في العيش حياة طبيعية».

كاد سنكلير يضحك لفكرة أن تعيش تاي نيمو حياة طبيعية.

ـ لكنها انطلاقة جيدة للغناء المنفرد.

هزت تايري رأسها وقد سئمت من سخريته ثم عادت تلتقط الصحيفة: «هل ستعرفني من هذه الصورة؟».

ورفعت وجهها إليه فأخذ يتأمل ملامحها، من عينيها الواسعتين الخضراوين، وأنفها الدقيق، إلى فمها المكوّر، وذقنها المدبّبة قليلاً. لم تكن صورة الصحيفة عادلة معها.

وجد نفسه يطيل النظر إليها، فحوّل نظراته بعيداً: «ليس لأول وهلة، لكنها تشبهك عندما تعبسين».

ـ عظيم. كل ما عليّ فعله هو أن أجول في الأنحاء ضاحكة كالمتوهة وذلك لبقية حياتي.

وعادت مكتئبة، تنهي قراءة المقالة التي تضمنت مزيداً من التفاصيل عن المستشفى: «يقولون هنا إن المستشفى مختص باضطرابات الأعصاب، فهل هذا صحيح؟».

فأومأ باختصار.

ـ ولكن إذا كان لدي ارتجاج بسيط في المخ، فلماذا أخذوني إلى هناك؟

ـ أنا أعطيت الإرشادات لسيارة الإسعاف. فهو أقرب مستشفى إلى بيتك، وهو مجهز جيداً لإصابات في الرأس.

لقد أخطأ التقدير من هذه الناحية بكل تأكيد. وتنهدت: «هذا رائع. العالم كله سيعلم الآن أني أصبت بانهيار عصبي».

ـ ظننت أني أتصرف لمصلحتك. إنما أرى الآن أنني أخطأت.

هل هذا اعتذار؟ وتملكها شيء من الرضى: «أنى لك أن تعلم! ويفترض بي أن أكون شاكرة لأنك لم تتركني أرضاً ليعثر علي أناس آخرون».

فقال بجد بالغ: «ما كنت لأفعل ذلك».

ـ أعلم هذا.

وكانت تدرك أن إيوان سنكلير، رجلاً كان أم طبيباً، صاحب مبادىء.

ـ يمكنني أن أطلب من الدكتور شيفرز أن يصدر نفياً لهذه المعلومات.

فكرت تايري في هذا لحظة، قبل أن تهز رأسها: «إنس هذا. النفي يجعل الصحافة أكثر فضولاً. من الأفضل أن تتلف هذه كيلا تراها لويز».

وأعادت إليه الصحيفة، فأخذ يمزق الصفحات التي تتحدث عنها إلى نتف صغيرة ووضعها في سلة المهملات: «شكراً لأنك لم تذكري شيئاً للويز».

ـ وماذا كنت لأفعل غير هذا؟ هل أطلعها على شخصيتي الحقيقية لكي تزدريني؟ أفترض أنك أدليت برأيك بالنسبة إلى دوري في موت كيت.

ـ وكيف يمكنني ذلك وأنا لا أعرف ما الدور الذي لعبته؟

إنه ينتظر جوابها. . . ينتظر ماذا. . . اعترافاً شاملاً كاملاً؟

بدا وكأن آخر يومين لم يحدثا قط. لقد أنقذها، وساعدها في تجنب

الصحافة، ومنحها سريراً تقضي فيه ليلتها. ولكن لا شيء تغيّر. ما زال يعتقد أنها مسؤولة بشكل ما، عن حادث كيت المميت. وبشعور أقرب إلى الغضب منه إلى الشعور بالذنب، نهضت واقفة وحاولت أن تخرج لولا أن أمسك بذراعها. لم تقاوم بل نظرت إليه بملل، فقال: «إذا أخبرتني ما حدث تلك الليلة، أعدك بألا يتجاوز ذلك هذه الجدران».

حاولت أن تتخلص منه فشدّد قبضته.

حسناً، ستعطيه الاعتراف الذي يريده: «أنا المسؤولة. كنت أعلم أن كيت تعاطى من المخدرات أكثر مما ينبغي لقيادة دراجته النارية. وكنت أستطيع أن أمنعه، لكني لم أفعل. وبدلاً من ذلك خرج ستو يسابقه فتصادما. . . هل أنت سعيد الآن. . .؟».

ـ لا. لم تخبريني بالحقيقة كاملة بعد.

ردّت بحدة: «ألا يكفي أني تحمّلت المسؤولية؟».

ـ لا، ليس الآن.

أثبت هذا شكوك سنكلير. وهي أنها كانت على علاقة بابنه بالتبني. لكن معرفته بذلك لم تشعره بالتحسن بل أصبح شعوره أسوأ بكثير: «لماذا رفضته تلك الليلة؟ ضجرت منه، أليس كذلك؟».

ـ ليس بالطريقة التي تعنيها. كنت ضجرة وحسب.

فقال هازئاً: «أتصور أنك كنت تستبدلين واحداً بآخر».

فزفرت بإحباط. أيظنها حقاً من هذا النوع من النساء؟

ـ أنت مخطىء للغاية.

ـ أخبريني الحقيقة إذن.

نظرت إلى الوجه المنحوت من الصوان، فلم ترَ فيه أي شعور أو تفهّم.

ـ معك حق. إنما لماذا اقتصرت علاقاتي على كيت وستو؟ ربما كنت على علاقة بواين! والطبّال أيضاً. وهناك لس المدير طبعاً. لعلي أتورط مع كل رجل ألقاه. . . من يعلم؟ ولو أنك لم تكن ذلك المتغطرس المغرور الذي يعتقد أنه أفضل من الآخرين لاستسلمت لك أنت أيضاً.

أدرك سنكلير أنها تسخر منه فقال مزمجراً: «وهل تظنين أني قد أحاول اغواءك؟».

ـ نعم.

ورفعت رأسها بتمرد، تتحداه أن ينكر ذلك. كانت متأكدة من أنه سيفعل ذلك، مقتنعة بأن كبرياءه فقط هي التي ستردعه.

يبدو أنها فهمته جيداً إذ ترك ذراعها وكأنه خاف أن تلوّثه، فابتسمت بشماتة. ولكن سرعان ما تبيّن لها أنها أخطأت. فعندما حاولت أن تبتعد عنه أمسك بها فجأة من خصرها: «ربما أنت على حق».

وعندما جذبها إليه قالت متلعثمة: «ما... ما الذي تفعله؟».

وارتسمت نظرة ساخرة على وجهه: «أحقق ما تتوقعينه مني».

حاولت أن ترتد إلى الخلف وهي تدفعه براحتيها: «دعني أذهب».

لكنه كان أطول منها وأقوى ومصمماً على أن يلقّنها درساً.

ودرس اليوم أصبح عن الضعف... ضعفها. علمها إياه بسهولة بالغة وهو يشدّها إليه. وبدلاً من الخوف، تملكتها رعشة الانتظار.

ربما كانت لتقاومه لو تصرف بفظاظة معها، لكنه لم يفعل. كان عناقه رقيقاً في البداية، لكنه ما لبث أن ضمها إليه بقوة حتى صدرت عنها آهة استسلام.

كان من المفترض أن يكفي هذا لإثبات كلامه، لكن سنكلير اكتشف أنه يريد المزيد.

انتظرت هي أن تشعر بالاشمئزاز كالعادة لكن هذا لم يحدث.

نظر في عينيها لحظة، ثم راح يتأملها بنظرات طويلة حادة. قال بصوت خافت: «رائعة».

أرادت أن تقاومه، أن تبتعد عنه فأغمضت عينيها إزاء وجهه الوسيم غير الباسم لكن ذلك أثار أحاسيسها أكثر.

كانت واثقة من أن تلك المشاعر ستموت في النهاية، وإذا بها تزداد وتنمو.

شعرت باضطراب شديد وهي ترى نفسها وقد تملّكتها مشاعر قوية نحو رجل يكاد لا يعجبها.

دفع برأسه إلى الخلف بعنف ثم أخذ يحدّق إليها بعدم تصديق كامل حين قالت: «أرجوك أنا عذراء!»

وكان في صوتها تهدّج مسموع.

بقي سنكلير يتصارع مع ضميره، وهو الذي لم يعتد أن يستسلم لغرائزه بحيث تسيطر عليه. شعر بها وقد بدأت ترتجف، فتراجع وأخذ يسوّي ملابسه.

وأخيراً نظر إليها، كانت ملامحها جامدة، وكأنها مصدومة. ما الذي حاول أن يفعله؟

ـ لا بأس.

تمتم بذلك، وقد أدرك أن كلماته هذه غير كافية.

ونظرت تايري إليه بعدم فهم.

مدّ يده إليها فابتعدت بشيء من الحدة وقد احمرّ وجهها. لكنها. شعرت بسخافة الموقف. لقد سمحت له بأن يعانقها ولم تقاومه، والآن ها هي تحمر خجلاً عندما أراد أن يلمسها!

في الواقع، هذه المشاعر كلها سخيفة. لقد انجذبت إلى هذا الرجل أكثر مما انجذبت إلى أي رجل آخر، ومع ذلك لم تكن واثقة من أنها تشعر نحوه بأي مودة. أما هو فقد رغب فيها عندما ظنها عاهرة، وها هو يبتعد عنها عندما اكتشف أنها ليست كذلك.

قال لها: «إسمعي، لا أستطيع أن أخبرك كم أنا آسف على تصرّفي هذا».

ـ إذن لا تخبرني.

أخذ ينظر إليها وهي تسير نحو كرسي عند النافذة ثم تجلس. لعل الرغبة خمدت لكنها سرعان ما بُعثت من جديد. وشعر بدافع قوي لأن يعود ليغويها من جديد.

حول نظراته بعيداً، وركزها على شيء آخر لاحظ أوراقه المبعثرة على المكتب، فأخذ ينظمها بذهن شارد ورأت هي ما يفعل فاستنتجت أن فترة الاستراحة قد انتهت وعاد كل شيء إلى طبيعته.

حسناً، ماذا كانت تتوقع غير ذلك؟ أن يصرح لها عن حب لا يموت؟ أبداً. الرغبة هي مجرد رغبة بالنسبة إلى الرجل.

وبعد حين نظر إليها قائلاً: «تايري، لا أدري في الحقيقة كيف أفسر ما حصل. لكنني لا أفهم تماماً لماذا. . حسناً، لماذا تجاوبت معي؟».

لم تفهم هي أيضاً. لكنها لم تشأ أن تعترف بذلك، بل قالت ساخرة: «عليك أن تسأل طبيبي النفسي».

ـ هل تزورين طبيباً؟

فلوت شفتيها: «لا، بل هي نكتة».

ـ فهمت.

لكنه لم يضحك بل أضاف بهدوء: «أنا لا أدعو إلى التحليل النفسي، لكن بعض الناس يستفيدون منه. ربما عليك أن تفكري في ذلك».

ـ شكراً.

أصابتها نصيحته في الصميم وكأنها رصاصة. فردت بحدة: «أتظن أن أي امرأة تبلغ من الجنون حد أن تستسلم لمشاعرها معك بحاجة إلى طبيب نفساني؟ حسناً، ربما أنت على حق».

عبس لكلامها هذا، لكنه رأى أن الذنب في ذلك ذنبه.

قال وهو يهز رأسه: «يبدو أنني لم أكن على صواب حتى الآن. أريدك فقط أن تعلمي أنني لو علمت أن رجلاً لم يلمسك من قبل، لما قبلت التحدي السخيف لأثبت كلامي».

وربما كانت لتخجل من كلامه هذا لو لم تر الأمر سخيفاً نوعاً ما: «أتعني أنك لم تعد منجذباً إلي بعد أن علمت أنني لست الفتاة المتحللة التي تصورتها؟».

ـ نعم. . . أو بالأحرى لا. . . ليس هذا ما عنيته.

وتذكر كم وجد هذه الفتاة صعبة فأضاف: «مهما قلت لن يتغير الوضع أليس كذلك؟»

ـ لا أظن ذلك

بدت له هادئة منضبطة، وهذا ما وجده غريباً. لكن ماذا يعرف في الحقيقة عن هذه الفتاة؟ القليل فقط

نهضت واقفة فشعرت بشيء من الدوار فانتظرت لحظة، تستعيد توازنها، ثم توجهت إلى الهاتف

لم تستطع أن تتذكر رقم هاتف شركة سيارات الأجرة فعادت إلى صفحات الدليل. توقعت منه أن يقفل الدليل مرة أخرى، لكنه بقي ينظر إليها بصمت. واستنتجت أنه متلهف الآن لرحيلها كحالها تماماً. طلبت الرقم وعندما سألها الموظف عن عنوانها بالضبط، طلبت مساعدة سنكلير الذي أعطاها العنوان على الفور

قالت «إنهم مشغولون قليلاً، لكنهم وعدوا بأن تكون السيارة هنا خلال ساعة»

أومأ وهو يقول: «كنت لأوصلك لولا وجود الويز. كما لا أتوقع أن تقبلي عرضي»

كان صوته مثقلاً بالشعور بالذنب فرفعت بصرها إلى وجهه. كان بإمكانها أن تستمتع بإيلامه، لكن الصدق أرغمها على أن تقول: «إسمع يا سنكلير يبدو أنك تعتقد أنك تصرفت معي بشكل سيء للغاية، لكن الأمر لم يكن في الواقع فظيعاً لذا، دع عنك ذلك لأنني بأحسن حال».

فأجاب بهدوء «أحب أن أصدق هذا».

ـ يمكنك ذلك

طمأنته رغم أن قولها إنها بأحسن حال فيه شيء من المبالغة.

إنها مضطربة فقط وما زالت لا تجد الرد عن السؤال الذي يتردد في رأسها (لماذا هو بالذات)؟

لم يكن سنكلير مقتنعاً تماماً، لكنه لم ير كيف يمكنه أن يبقيها رغم

إرادتها. وسار إلى الباب يفتحه، ثم تركها تخرج إلى الردهة.

- لماذا لا تجلسين في غرفة الاستقبال، وسأحضر القهوة لنشربها أثناء الانتظار؟

- شكراً.

وهرب بينما دخلت هي إلى غرفة الإستقبال مراهنة على أنه يتنفس الصعداء الآن مثلها. كان الوضع بينهما غريباً حقاً.

سارت إلى أريكة بجانب النافذة التي يمكنها أن ترى منها البوابة الخارجية. تمنت لو تبكر السيارة بالمجيء بدلاً من أن تتأخر. لم يمرّ بها بعد ليلة الحادث أغرب من هذا الصباح.

تساءلت عما كان ستو سيقوله؟ شيء مضحك أم غير مهذب؟ أم ربما الإثنين؟ لم يكن ستو رومنسياً.

ومع ذلك فقد أحبها على طريقته الخاصة كما أحبته هي أيضاً. أو لعلها كانت بحاجة إليه بعد أن انقطعت علاقتها بأسرة تشيزولم. وهو الوحيد الذي أخبرته بما حدث لها مع توم تشيزولم. ومع أنه نصحها بنسيان ذلك، إلا أنه كان يفهم حاجتها إلى الثأر وشفاء قلبها.

بعد عودتها إلى الملجأ بأسبوع قررا أن يقوما بزيارة إلى منزل آل تشيزولم.

تملكها نوع من الجنون وهي تقطّع ملابس توم ومرغريت، وتشق الوسائد، وتقذف بالتحف أرضاً.

كان ستو فوضوياً بطبيعته، فسرّه أن يساعدها في ذلك. وهكذا أتلفا كل ما في البيت.

بعدئذٍ، هربا وبقيا شهراً كاملاً يتسولان، ويأكلان في المطابخ العامة التي تقدم الحساء للفقراء، وينامان في مداخل البيوت. وعندما قبضت عليهما الشرطة أخيراً، كانت تابري تعاني من سعال متقطع.

أعيدا إلى الملجأ، مع محاضرة قصيرة عن أخطار الشوارع. لم توجّه إليهما أيّ اتهامات، ولم يأتِ أحد على ذكر أسرة تشيزولم.

لم تحاول تابري أن ترى الزوجين تشيزولم مرة أخرى. لقد محتهما من

ذاكرتها قدر إمكانها، مصممة على ألاّ تدعهما يهدمان حياتها. ولم يفعلا! لقد نجت منهما، وبشيء من الحظ والموهبة، اكتسبت شهرة وثروة. لكن تهجّم توم تشيزولم عليها أفسد أيّ علاقة طبيعية بينها وبين أيّ رجل، فكانت تكره تقرّب الرجال منها ولا ترضى بأن يلمسها أحدهم.

حسناً، كان هذا حتى هذه الليلة. بدا وكأن مشاعرهما زوبعة لا يمكن إيقافها. والحقيقة أنها لم تكن تريدها أن تتوقف. في الواقع، سينكلير هو الذي ابتعد حالما علم أنها ليست كما تصوّر.

على أيّ حال، جلّ ما يريده هو الحقيقة وربما الثأر لموت كيث. لعل استسلامه لرغباته خطوة خارجة عن الحد المرسوم.

ربما كانت ستشعر بجرح في كرامتها لو لم تجد الوضع غريباً. فمن بين كل الرجال الذين عرفتهم في حياتها، لم تصادف رجلاً أقل ملاءمة منه لها.

إنه من النوع المثقف المغرور، شخص جاء من بيئة يعتبر فيها الأطفال مثلها ومثل ستو، ظاهرة اجتماعية شاذة.

إنهم ليسوا أناساً حقيقيين بحيث يرغبون في دعوتهم إلى بيوتهم.

لا بأس، فقد دعاها إلى بيته، لكن السبب هو كيث. وعندما فشل في إثبات وجهة نظره، مهما كانت، لم يصبر على وجودها. حسناً، لن تطيل المكوث هنا فلديها كرامتها.

وفي الوقت نفسه، رأته يتجنبها. افترضت ذلك بعد أن مرّت ربع ساعة من دون أيّ أثر لتلك القهوة. تمنت لو تأتي بسرعة فأجفانها مثقلة بالنعاس، بعد هذا اليوم الشاق.

* * *

وجدها سنكلير نائمة وقد وضعت ساقاً على أريكته، والأخرى على الأرض. قرر ألاّ يوقظها لشرب القهوة، وأن ينتظر إلى حين حضور سيارة الأجرة. وبهذه الطريقة يكون الحديث بينهما قليلاً للغاية.

على أيّ حال، ماذا هناك ليقال؟ أنا آسف لأني أسأت الظن فيك؟ لا،

فقد أوضحت أنها لا تريد اعتذاره، فماذا تريد منه إذن؟ لا شيء على ما يبدو. إنها متلهفة إلى الخروج من حياته إلى الأبد. أليس هذا أفضل ما ينبغي عمله؟ أن يدعها تذهب؟

هذا أفضل لهما، بكل تأكيد. استنتج ذلك حين جلس ينظر إليها وهي نائمة. بدت صغيرة للغاية، وقد خلا وجهها من التجارب. لكنه كان يعلم أن ذلك وهم. لقد عاشت تجارباً. . . لكنها ليست من النوع الذي افترضه. ربما لو حاول أن يتحدث إليها حقاً، وأن يتقرّب أكثر، لاكتشف الحقيقة مبكراً.

وصلت سيارة الأجرة فنهض ولمس كتفها. تحركت لكنها رفضت أن تستيقظ. هزها بشيء من العنف فأخذت تتمتم باحتجاج لم يفهم منه سوى اسم ستو.

إذن، هذا هو من يحتل أحلامها!

تركها عندئذٍ وخرج إلى البوابة حيث دفع للسائق تعويضاً. كانت لا تزال مستغرقة في النوم، عندما عاد. فكر في حملها إلى الطابق العلوي، لكنه خاف أن تستيقظ وتسيء الظن به، ومن يلومها؟ وأخيراً، أحضر لها غطاءً، ثم أطفأ الضوء الرئيسي وأبقى أحد المصابيح مضاءً لئلا تضطرب إذا ما استيقظت في الظلمة.

مرّ بقفا يده على جبينها ليرى حرارتها، لكن لمسته لم تحرك فيه مشاعر الطبيب. كانت باردة رغم أن جو الغرفة خانق. لعلها ليست من يعاني من الحمى.

وعند هذه الملاحظة، تركها.

* * *

٩ ـ تحليل نفسي

عندما كانت مراهقة، اعتادت تايري أن تنام على مقاعد الحدائق العامة وعلى الأرض في مداخل المنازل. لذا، لم تجد مشكلة في أريكة طرية دافئة. تحركت في الليل مرة واحدة وعندما اطمأنت إلى أنها في أمان، عادت فاستغرقت في النوم على الفور.

وعندما استيقظت في المرة التالية، كان الوقت صباحاً. وجدت شخصاً ينظر إليها وقد حجب جزئياً نور الشمس المتسرب من النافذة.

طرفت بعينيها تطرد النعاس، وقاومت رغبتها في السؤال عن سبب بقائها هنا. وبدلاً من ذلك قالت مازحة: «هذه أطول مرة في حياتي انتظر فيها فنجان قهوة، هل ذهبت إلى البرازيل لتحضرها؟».

فقال باسماً: «هذا مضحك».

ثم تابع بجد: «تعطلت آلة صنع القهوة الليلة الماضية».

ـ كان عليك أن تستغني عنها.

وعبست حتى وهي تجلس لتتناول منه فنجان القهوة الموعود.

ـ حاولت أن أوقظك.

صدقته فقد تذكرت الليلة الماضية تماماً. تمنت ألا تكون قد احمرت خجلاً، لكنها شعرت بذلك فعلاً.

قالت بلهجة عفوية: «حسناً، سأشرب هذا ثم أذهب إلى القرية لأستأجر سيارة».

ـ لن تنجحي في ذلك، لأن قريتنا ليست مدينة سيارات أجرة إنما تعتمد

الجياد. على أي حال، أريدك أن تبقي لتناول الفطور. إلويز تتوقع ذلك.

إلويز وليس هو! حسناً. ما الذي تتوقعه؟

- بالتأكيد، ربما تطلب لي سيارة أجرة لاحقاً.

أومأ باختصار ثم خرج.

شربت تايري قهوتها متجنّبة التفكير في الليلة الماضية، وبدلاً من ذلك أخذت تخطط للنهار الذي ينتظرها. ستعود إلى الكوخ وتأخذ نقودها وجواز سفرها، ثم تستقل الطائرة إلى بلد بعيد حيث لم يسمع أحد بفرقتها.

لكن عليها أولاً أن تستحم. كان عليها أن ترتدي الثياب نفسها مجدداً، لكنها شعرت على الأقل، بالنظافة.

نزلت إلى المطبخ فوجدت سنكلير وإلويز في المطبخ ينتظرانها لتناول الفطور.

سار الحديث سهلاً بين الفتاتين، فيما بدا سنكلير متعزلاً. وكان لا ينفك ينظر إلى ساعته فاستنتجت تايري أنه لم يعد يحتمل وجودها في بيته.

قفز واقفاً ما إن سمع جرس هاتف البوابة، الذي أعلن قدوم زائر. وافترضت تايري أنها سيارة الأجرة، لكن عندما أوشكت أن تتبعه، أشار إليها بالبقاء.

عبست فيما ارتسمت ابتسامة عريضة متآمرة على وجه إلويز.

وعادت تايري إلى كرسيها لتسكب فنجان قهوة آخر وهي تنتظر حضور (السيد).

بعد خمس دقائق سمعتا أصواتاً في الردهة. وكان الحديث يدور بنبرة منخفضة سريعة.

تكهنت تايري أنه ليس سائق سيارة الأجرة فحثّت إلويز على أن ترى من يكون. عادت هذه إلى المائدة وقد بدت عليها الحيرة: «إنه العم بوب، ولا أدري ماذا يريد. آه، يا إلهي! أرجو ألا يكون أبي قد دعاه إلى هنا ليتحدث إليّ. فذلك سيكون مخجلاً للغاية».

شعرت تايري بقلبها كالحجر: «هل العم بوب هو الدكتور شيفرز؟».

- هل تعرفينه؟

- إنه الطبيب الذي رأيته في المستشفى..

نظرت إليها إلويز بشيء من الارتياب: «هل بقيت وقتاً طويلاً هناك؟».

- لا. ليلة واحدة فقط.

- آه، حسناً. ظننت للحظة أنك قد تكونين... حسناً، من مرضى الرأس لديه.

- مرضى الرأس؟

احمرّ وجه إلويز قليلاً: «آسفة. ما كان لي أن أستعمل تلك الكلمة».

- أتعنين مريضة عقلياً؟ هل العم بوب طبيب نفسي؟

- شيء من هذا القبيل، إنما ليس بالضبط.

لم تجد تايري وقتاً لمزيد من الاستفسار لأن الرجلين ظهرا في المطبخ.

هتف العم بوب باسماً: «مرحباً إلويز، كيف حال المدرسة؟».

فأجابت إلويز بجمود: «مدمّرة نفسياً».

ورغم أن الدكتور شيفرز ضحك عالياً، إلا أن أباها عبس.

وتحوّلت نظرات الطبيب إلى تايري بابتسامة خفيفة فيما قال سنكلير لابنته بهدف إبعادها: «إلويز، هل لك أن تذهبي إلى القرية لإحضار بعض الحليب؟ يبدو أنه لم يعد لدينا ما يكفي».

أوشكت إلويز أن تعترض لكن حين قال إنّ بإمكانها أن تشتري مجلتين، قبلت فجأة.

كان بإمكان تايري أن ترافقها، لكنها كرهت أن تورّط الفتاة، وهكذا جلست متوترة. لم تدهش حين جلس بوب إلى جانبها، فيما رافق سنكلير إلويز إلى الخارج ليعطيها نقوداً.

- كيف حال رأسك؟

- بأحسن حال، شكراً يا دكتور.

قالت هذا بجفاء فابتسم ابتسامة خفيفة وهو يرشف القهوة.

انتظرت أن يفصح عن الغرض الحقيقي من زيارته هذه، لكنه بدا غير

مستعجل. فقالت فجأة: «أظن أنّ سنكلير استدعاك».

ـ كلا، في الواقع. أنا الذي اتصلت به. لم يعجبني ما قيل عن مكوثك في المستشفى.

فهزّت كتفيها: «الأمر ليس مهماً. إشاعة أني مريضة نفسياً قد تعزز مهنتي».

فعاد بوب يبتسم: «نعم. قال سنكلير إن نظرتك إلى المسألة فلسفية. ومع ذلك، فكرت في القدوم لأرى حالتك، ولنتحدث قليلاً».

إنه يريد إخراج صديقه من القضية، هذا ما خطر لها وهي تتكهن بسبب زيارته، فقالت ساخرة: «هل ينفع هذا المكان أم تريدني أن أستلقي على سرير الكشف؟».

سكت بوب لحظة، فتساءلت إذا ما أخطأت في فهم الوضع، ثم نظر إليها بخجل: «هل أنا واضح إلى هذا الحد؟».

ـ لا، بل سنكلير كذلك.

ـ لطالما كان كذلك. ما ترينه هو ما في داخله.

ـ ليس دائماً.

ما كانت تابري لتتكهن أن خلف مظهر سنكلير المهني الانطوائي يكمن ذلك الرجل ذو المشاعر المحمومة.

فتردد قبل أن يقول: «نعم، إنه يتصرف أحياناً بتهوّر».

قررت تابري أن تكون صريحة: «أريد أن أعرف أمراً واحداً. هل أخبرك بما جرى بيننا؟».

ـ بشكل غير مفصّل. لقد عبرّت عن قلقي لسماعي أنك مقيمة هنا. وبعد بعض المراوغة اعترف سنكلير بأن الأمور أصبحت معقدة بعض الشيء منذ رأيته آخر مرة، ففكرت في أنني قد أنفع في حلها.

أدركت أنه يتكلم لمصلحة سنكلير أكثر منه لمصلحتها، لكنه كان نافعاً كوسيط. فأجابت: «حسناً، يمكنك أن تطلب من سنكلير أن يرتاح، فأنا لن أموت من تحطم القلب أو أشكوه إلى النقابة، أو أنشر مقالاً في الصحف

بعنوان (جرّاح يغوي مغنية حزينة)».

وضحكت فيما التوت شفتا بوب شيفرز وهو يقول: «لم يذكر سنكلير أياً من هذه المخاوف، ويبدو أن اهتمامه الأساسي منصب عليك».

ـ هذا عظيم. حسناً، أنا بأحسن حال.

فهم بوب ما تعنيه، فقال متأملاً: «أتراني أشعر بنبرة خفيفة من العدائية في صوتك؟».

ردت ساخرة: «إنها على الأرجح معزوفة موسيقية. أعني... إسأل نفسك، من هو الأكثر جنوناً بيننا، نحن الاثنين؟».

ـ سنكلير؟

وابتسم ساخراً لهذه الفكرة.

ـ هذا صحيح. ماذا تسميه غير هذا؟ أراد إغوائي عندما كان يظنني مومساً. وما إن أدرك أنني لست كذلك، حتى تراجع فهل لك أن تفسر ذلك؟

فأجاب بهدوء: «نعم. مع أنني أظنك من الذكاء بحيث تفسرين ذلك بنفسك... لكن، بماذا تشعرين؟».

حاولت أن تتجاهل السؤال لكنه بقي ينظر إليها بثبات حتى أرغمها أخيراً على أن تجيب: «مشوّشة».

لم يضغط عليها لمزيد من التفسير، وربما لهذا السبب تابعت الكلام.

تحدثت في البداية عن عملها ومهنتها لكن الحديث عاد تدريجياً إلى الماضي. أخبرته بأمور لم تكن تنوي الحديث عنها. ربما لأنه لم يعلق أو ينصح بل راح يصغي فقط، كأيّ معالج جيد.

ـ أظنك تعتقد الآن أنني مشوّشة تماماً.

ـ وهل تشعرين أنك كذلك؟

ـ أحياناً. لكنني أظن أن كل واحد منا مشوّش من ناحية ما.

أقرّ بوب بحقيقة هذا، قائلاً بسخرية: «نعم، وإلا لأصبحت من دون عمل».

www.elromancia.com

ـ نعم، كما أظن.
وكانت تايري قد نسيت تقريباً أن هذا الحديث مهني أكثر منه شخصي: «حسناً، يمكنك أن تطالبني بأجرة هذه الجلسة... أو ربما من الأفضل أن ترسل الفاتورة لسنكلير».
وابتسم بوب لهذه الفكرة: «ربما أفعل ذلك».
لكن ذلك نبّه تايري: «لن تخبره بما أخبرتك به، أليس كذلك؟».
ـ لا أستطيع حتى لو شئت ذلك. إنه سرّ المهنة... على أيّ حال، إنها قصتك. ومن الأفضل أن تخبريه بها عندما تتطور علاقتكما.
ـ ماذا؟ لا أظنك تفهم. ما من علاقة بيني وبين سنكلير.
ونظرت إليه لترى إن كان يمزح. فرفع حاجبه: «هل أنت واثقة؟».
هل هي واثقة؟ أي سؤال هو هذا؟
ـ إسأل سنكلير.
ـ وماذا لو قال العكس؟
ـ لن يفعل. هل تراني حقاً من النوع الذي يحبه سنكلير؟
لم تفهم لماذا يطرح عليها صديق سنكلير هذه الأسئلة.
فكر بوب لحظة: «لا أقول إن سنكلير يحب لوناً معيناً من النساء. إنه ليس (زير نساء) إلى هذا الحد. بعكس رايس الذي علمت أنك تعرفت إليه أمس».
ـ نعم.
ـ رايس خرج مع نصف الفتيات في كلية الطب تقريباً. لكن بعضهن كان مهتماً بسنكلير أكثر، رغم عدم انتباهه لذلك، خاصة بعد أنْ تعرّف بنيكول.
ـ زوجته؟
ـ زوجته السابقة.
ـ كم من الوقت بقيا معاً؟
ـ أربع سنوات متفرقة، وهي مدة كافية لتقرر نيكول أن الزواج من

طبيب تخرج حديثاً ليس فيه أي فتنة.
ـ هل هربت مع رجل آخر؟
ـ نعم وأظنه خبيراً مالياً. كانت نيكول سريعة الملل.
بدا الازدراء البالغ على بوب فسألته تايري: «هل كنت تكرهها؟».
ـ لم أحب طريقتها في معاملة سنكلير والطفلين. لكن كان من الصعب ألا تعجب المرء على المستوى الشخصي، فقد كانت ساحرة ومذهلة الجمال، طبعاً.
طبعاً! كما رددت تايري بصمت وقد تملكها السخط.
ـ كيف تعارفا؟
ـ كانت ابنة أحد أساتذتنا. أظنه كان حباً من النظرة الأولى بينهما، رغم أن سنكلير ينكر ذلك. وعلى أيّ حال كانت مسألة (تزوج بسرعة واندم على مهل) كما يقول المثل. وربما هذا هو السبب في حذر سنكلير هذه الأيام.
حذر؟ هذه ليست الكلمة التي تجسّد رأيها. في الواقع، لعل كلمة (تهوّر) هي الأصح. لكن، إذا أمضى فترة من دون صديقة، فهذا يفسر انجذابه إليها. لكن هذا لا يفسر سبب انجذابها هي إليه.
قال: «لا أريد أن تنفرك قصة زواجه منه».
ـ لا، لكننا غير معجبين ببعضنا البعض.
ابتسم بوب وكأنه لا يصدقها: «ومع ذلك إنه أول رجل تسمحين له بمعانقتك».
احمر وجهها غضباً وخجلاً في الوقت نفسه: «هل أخبرك هو بذلك؟».
ـ أعتقد أنك أنت التي أخبرتني، وذلك بطريقة غير مباشرة. سنكلير أكثر حذراً.
ـ اسمع، أنا لست تلك الفتاة الضعيفة التي يصوّرها سنكلير.
ـ لا أظن أن سنكلير يعتبرك ضعيفة. لكنك حالة جديدة عليه ولا خبرة له بمثلها.

www.elromance.com مكتبة رومانس

- أظنه يصادف عادة طبيبات رزينات مثله.

جاهد بوب لكي يخفي التسلية عن وجهه: «إنهن النساء اللاتي يتعرف إليهن، وقد لا تلائمه أي منهن».

فردت بحدة: «نعم، حسناً. لا أظن أن المرأة الآلية وجدت بعد».

هذه المرة قهقه بوب، لكنه أضاف بعد أن شعر بعدم الولاء لصديقه: «في الواقع سنكلير ليس من البرودة وعدم الإحساس كما يبدو عليه».

ربما كانت لتشك في كلامه لولا أنها تذكرت الليلة الماضية. كان سنكلير بعيداً كل البعد عن البرودة. وأخيراً قالت: «لا تحاول أن تقنعني، يا دكتور. سأرحل من هنا حالما أحصل على وسيلة نقل. وهكذا يمكنك أن تخبره بأنني هادئة تماماً».

نهض بوب قائلاً: «هل أنت واثقة من أن هذا ما تريدينه؟».

وقفت بدورها وهي تقول: «واثقة تماماً وشكراً لإصغائك».

- أهلاً بك في أي وقت.

ثم تصافحا راضيين قبل أن يفترقا.

بعد رحيل بوب، أخلت المائدة ووضعت الأطباق الوسخة في غسالة الأواني. كانت تمسح المائدة عندما دخل سنكلير.

- ليس عليك أن تفعلي هذا.

- سأفعل حتى تأتي سيارة الأجرة. هل استدعيت واحدة؟

- لم أستدعها بعد لأنني لا أعلم بالضبط إلى أين ستذهبين.

- الكوخ أولاً ثم مطار هيثرو.

قطب لهذه الفكرة: «هل تخططين للسفر إلى مكان ما؟».

- إما للسفر وإما للاستكشاف.

قال بشيء من السخط: «هل تواجهين كل شيء بالمزاح؟ إلى أين أنت ذاهبة بالضبط؟».

- لم أقرر بعد، سأرى الرحلة الموجودة.

- أتظنين أنّ هذا هو الحل؟ أن تهربي؟

- نعم. إنه حل، وهو أفضل من البقاء وتحمّل الصحافة. أعني هل لديك فكرة عن آلات التصوير حين تعمي عينيك بوهج أضوائها ومن الصحفيين وهم يلقون عليك أسئلة غبية مثل (ما هو شعورك؟) (هل رأيت الجثتين؟) (وهل صحيح أنك وستو كنتما عشيقين؟)..

وسكتت متمنية لو أنها لم تنطق بهذا المثل.

أجفل سنكلير في داخله. بدا وكأنه تذكر أنه كان يفترض ذلك. يا للخطأ الذي يمكن أن يقع فيه المرء!

- يمكنني أن أتصور ذلك.

جاهد في أن يظهر تعاطفه معها لكنها صاحت في وجهه: «لا. لا يمكنك ذلك. أنت على الأقل تستطيع أن تحزن على كيت على انفراد. لن يطلب منك أحد أن تبكي عند الطلب أو تتحدث عن مشاعرك، ولا أحد ينعتك بالبقرة ذات الوجه القاسي إذا رفضت ذلك».

لم تكن تقصد اتهامه، لكن سنيكلير شعر أنه متهم.. ألم يكن هذا رأيه فيها أثناء استجوابها في المحكمة؟

سألها بهدوء: «هل كنتِ مقرّبة من ستيوارت ماكلينان؟».

- لقد أحببت ستو. نعم.

ولم تهتم في ما لو أن ما قالته ليس صحيحاً. لكن سنكلير سألها: «ولكن ألم يكن يحبك؟».

كان بإمكانها أن تقول له إن ثمة طرق مختلفة للحب، لكن هذا ليس بالموضوع الذي تحب أن تناقشه مع إيوان سنكلير. لذا، هزت كتفيها من دون اكتراث ثم حاولت أن تخرج لتقطع الحديث.

لكنه اعترض طريقها فتراجعت مجفلة. وعندما لاحظ هذا قطّب حاجبيه: «هل أنت خائفة مني؟».

- طبعاً لا.

كانت خائفة من نفسها ومن مشاعرها التي تلتهب كلما اقترب منها.

فقال عابساً: «اعلمي أن بوب وجدك صاحبة مزايا قوية ومرنة في حين

أحتاج أنا لفحص رأسي».

أدهشها اعترافه: «هل قال ذلك حقاً؟».

فأجاب بابتسامة خفيفة: «قال هذا بصفته صديقاً وليس طبيباً نفسياً»

ـ لقد تحدث عن زوجتك. قال إنها كانت جميلة جداً وساحرة.

فرفع حاجبه: «نعم، إلى أقصى حد».

شعرت بشيء من الضيق. توقعت منه أن ينكر ذلك، وتساءلت عما إذا كان سنكلير ما زال يحبها رغم كل شيء.

ـ كم بقيتما متزوجين؟

ـ أربع سنوات ما بين اتصال وانفصال. في السنة الأولى كنا سعيدين إلى حد لا بأس به، في السنتين التاليتين لم تكن كذلك، أما السنة الرابعة فكانت تعيسة للغاية.

فوجئت بصراحته فسألته: «ماذا حدث ليسوء الأمر بينكما؟».

فهز كتفيه: «ما الذي لم يحدث؟ كانت تحب إقامة الحفلات، فيما كان عليّ أن أدرس. أرادت العيش في لندن ونحن لا نملك سوى البيت الريفي. كانت تنفق أكثر مما أكسب. ولم أكن مسلياً مرحاً مثل غيري... وأخيراً هربت مع رجل آخر، لكنني أظنك تعرفين هذا».

أومأت فقد أخبرها بوب بذلك، لكن المفاجأة كانت صدق سينكلير. وأحست أن اعترافه بفشله كلفه كبرياءه.

قال وهو يرى الفضول على وجهها: «شعرت بأن عليك أن تسمعي كل هذا بشكل مباشر. كان لديّ علاقات عدة منذ ذلك الحين، لكنها لم تكن طويلة، علماً أنني لست ما يسمونه زير نساء».

ـ فهمت.

تمتمت بذلك رغم أنها لم تفهم شيئاً على الإطلاق.

وعندما تكلم مرة أخرى قال: «سأوصلك إلى بيتك».

فقالت بحدة: «لا، سأستقل سيارة أجرة».

ـ ستنتظرين طويلاً. وقد رتبت الأمر بحيث أترك الويز في بيت صديق

في طريقنا إلى بيتك.

بدا ضجراً وكأنها أصبحت مشكلة يريد التخلص منها. وعندما فتح لها الباب لكي تمر، بدا وكأنه اعتبر التعامل بينهما قد انتهى.

أذعنت وخرجت إلى الردهة فيما نادى هو إلويز. نادى مرات عدة لكن من دون أن يلقى جواباً.

وصعد السلم بسرعة.

انتظرت تايري في الردهة، فلاحظت علبتي حليب موضوعتين جانباً. لا بد أن إلويز ألقت بهما هنا حين عودتها.

وبعد لحظات، عاد سنكلير وحده، عابس الوجه وهو يقول: «لقد ذهبت... لعلها هربت».

ـ ماذا؟

لم تفهم تايري بسرعة. فناولها مجلة: «وجدت هذه على سريرها».

لاحظت مقالاً يعلوه اسمها وتروي قصة الليلة الماضية نفسها. فتحت الجريدة على الصفحة التاسعة حيث رأت صورة أخرى لهما أثناء هربهما من المستشفى، هذه الصورة أظهرت جانباً من وجه سنكلير لا يميز صاحبه إلا من يعلم مسبقاً أنها صورته.

قال: «لا بد انها قرأت العنوان فاشترتها... بدت غريبة نوعاً ما عند عودتها».

ـ ماذا تعني بأنها بدت غريبة؟

ـ كنت أودّع بوب في الفناء، فإذا بها تتجاهلنا وهي تمرّ بجانبنا، وقد نويت أن أتحدث معها عن قلة تهذيبها.

وهز رأسه فيما كانت تسأله: «هل أنت واثق من أنها ذهبت؟ ألا يمكن أن تكون في الحديقة في مكان ما؟».

قال وهو يتوجه إلى خلف المنزل: «هذا ممكن».

لم تتبعه تايري، لكنها ذهبت تفتش غرف الطابقين الأول والثاني. لم تجد لها أثراً. كان الجوّ ممطراً في الخارج فعادت إلى غرفة إلويز لترى ما إذا كانت

سترتها المفضلة على كرسي أو في الخزانة، إلا أنها لم تجدها أيضاً.

قابلت سنكلير في الردهة، وأدركت من ملامحه أن الحظ لم يحالفه هو أيضاً. ارتدى معطفه بسرعة وهو يعتذر بذهن شارد: «آسف، عليّ أن أذهب، هل ستستدعين سيارة أجرة؟».

فهزت رأسها: «لا تكن غبياً، سآتي معك وأساعدك في البحث، هل لديك معطف آخر؟».

- أكيد.

قال هذا مقطباً لكنه لم يجادلها وهو يناولها سترة واقية من المطر.

تبعته إلى الخارج ثم صعدت إلى السيارة بجانبه. انطلق بسرعة نحو التلة، وعندما وصل إلى مفترق طرق، كان عليه أن يختار إما الطريق المؤدي إلى المقهى والمتجر، وإما الطريق المؤدي إلى «ريدبنغ».

توقف لحظة حائراً، وشاركته تايري عذابه. كان كأي أب، خائفاً من أن تصعد إلويز في سيارة مع رجل غريب.

قالت مقترحة: «لماذا لا نفترق؟ أنت تذهب في ذاك الطريق فيما أذهب أنا إلى القرية ثم أتابع سيري إلى الناحية الأخرى إذا لم أجدها».

- فكرة حسنة، ولكن انتبهي إلى نفسك، أنت أيضاً.

- يمكنني أن أتدبر أموري فلا تخف.

وألقت عليه نظرة محنكة قبل أن تنزل من السيارة وتشير إليه بأن ينطلق.

كانت خائفة على إلويز فهي ليست حمقاء متهورة لكن حتى الفتيات العاقلات يتصرفن بشكل غبي عند الغضب الشديد.

انطلقت تايري بسرعة متجاهلة وخز كاحلها. قصدت أولاً الكنيسة ثم فتشت المقبرة لكنها كانت خالية. تابعت إلى المتجر، فلم تجد فيه سوى سيدة متوسطة السن.

تابعت سيرها متجاوزة كوخين، ثم عبرت الطريق بعد أن انتهى الرصيف عند المنعطف.

كانت تعرج قليلاً من كاحلها المصاب عندما تجاوزت المنعطف لتصل

إلى محطة الباصات. ومن خلال المدخل الواسع، لمحت سترة مألوفة بحاشية من الفراء.

كبحت رغبتها في أن تصرخ منادية، ثم تسللت إلى الداخل خفية لئلا تُجفل إلويز. وساعدها على ذلك أن الفتاة كانت تخفي رأسها في ياقة سترتها غافلة عن بقية العالم وقد جلست على مقعد خشبي.

حيّتها تايري بلهجة عفوية: «مرحباً».

أجفلت إلويز وقد عادت إلى أرض الواقع لكنها لم تهرب. في الواقع، لمحت تايري على وجه الفتاة ومضة ارتياح سرعان ما تحوّلت إلى استياء المراهقة المعتاد.

تكهنت تايري بأن الفتاة لم تكن مصممة على الهرب. جلّ ما أرادته هو أن تعاقب أباها.

جلست تايري بجانبها: «أتنتظرين الباص؟».

- نعم.

- إلى أين ستذهبين؟ ستعودين إلى المدرسة؟

فتمتمت الفتاة: «وما همك أنت؟».

رأت تايري أنها تستحق ذلك، فقررت اعتماد الصراحة في مخاطبتها: «أنت تظنين أننا كذبنا عليك، هل هذا صحيح؟».

فقالت الفتاة بحدة: «نعم، كذبتما».

- هذا صحيح، لقد كذبنا لكننا ظننا أن من الأفضل ألا نطلعك على حقيقة هويتي.

- لماذا؟

- لم نشأ أن نكدرك.

كان هذا جواباً صادقاً لكن إلويز لم تتأثر بل شخرت غير مصدقة. وقالت كمن جُرحت كرامته: «نعم، أراهن على أنك تظنينني غبية لأنني لم أميّز أن اسم (تاي) هو اختصار لتايري...».

- وما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟ أنا لا أبدو كتاي نيمو، أليس

كذلك؟

أخذت عينا إلويز تتأملان وجهها بشك: «لكنك هي، أليس كذلك؟».

ـ نعم، أنا تاي نيمو سواء أحببت ذلك أم لا.

ـ لكنك مشهورة وغنية، ولا بد أنك تحبين هذا.

كان بإمكان تايري أن تعترض على ذلك لكن الوقت لم يكن مناسباً لإلقاء محاضرة عن الناحية السلبية للشهرة.

ـ في الواقع، أفضّل أن أكون تايري فقط بالنسبة إليك، وليس تاي نيمو. أنت محقة في أن تغضبي فما كان ينبغي أن أخدعك.

ظهر شيء من اللين على إلويز قبل أن تتذكر: «ليس أنت فقط. أبي أيضاً لم يقل شيئاً».

ـ أعلم هذا. لكن عليك أن تفهمي أنه أراد أن يحمي مشاعرك. ظن أنك إذا قابلت أحداً من فرقة كيت فقد يحزنك ذلك.

فقالت الفتاة بحيرة: «ولكن لماذا؟ ربما كنت لأطلب منك أن تحدثيني عن كيت. إنه أخي لكنني أكاد لا أعرفه».

مدّت تايري يدها تعتصر يد إلويز: «آسفة، من الواضح أننا أسأنا الحكم على الوضع وأرجو أن تسامحينا، يا إلويز. إذا لم يكن أنا، فوالدك إذن. فهو حقاً لا يفكر إلا بمصلحتك».

ـ هذا ما افترضه، أين هو الآن؟ في البيت؟

ـ لا. إنه يبحث عنك أيضاً. لقد افترقنا لكنه سيأتي إلى هذه الناحية في أي لحظة.

فتأوهت إلويز: «هذا عظيم. سيغضب أليس كذلك؟».

لم يكن بإمكان تايري أن تعدها بالعكس، فقالت: «ربما لا. لكن صدقيني، سيرتاح كثيراً عندما يراك سالمة. لما لا نعود الآن؟».

حبست أنفاسها تنتظر موافقة إلويز. فهي لن تستعمل القوة معها.

أخذت إلويز تفكر في بديل، ثم هزت كتفيها: «لا بأس».

نهضت الفتاتان وعادتا أدراجهما. وكانتا قد وصلتا إلى منعطف ضيق

عندما مرت بهما سيارة مألوفة. كان سنكلير قد رآهما لكنه لم يستطع التوقف. واقترحت تايري أن تقفا أمام دكان القرية حيث يمكنه أن يراهما بسهولة.

وعندما مرت الدقائق، سألت إلويز بقلق: «هل بدا لك بابا غاضباً جداً؟».

وكانت تايري تفكر في أن سنكلير يبدو دوماً عابساً فقالت: «من الصعب معرفة ذلك. لكن لا تخافي ودعيني أكلمه».

ـ لا بأس.

ولم تشأ إلويز أن تجادل في هذا الأمر فتأبطت ذراعها.

كانتا تتبادلان الابتسام عندما ظهر سنكلير بجانبهما. منع نفسه من القفز من السيارة ليصيح بهما إذ بدا له أنهما تستمتعان بصحبة بعضهما البعض فيما القلق يتآكله هو.

رأت تايري ملامحه العابسة الغاضبة فأشارت إليه خفية بألا ينفعل فيما صعدت إلى المقعد بجانبه.

فهم ما تعنيه وبقيت شفتاه مزمومتين لكن وجهه لم يكن مشجعاً.

ومع ذلك قالت تايري: «ذهبت إلويز تتمشى لتريح أفكارها. كانت متكدرة قليلاً لأننا خدعناها، لكنني أطلعتها على السبب الذي جعلنا نفعل هذا وأخبرتها بمدى أسفنا».

كان سنكلير ما زال يحاول تهدئة أعصابه، لكنه أذعن لرأي تايري: «فهمت. هذا حسن».

وأضافت تايري: «كما أن إلويز آسفة لأنها لم تخبرك بوجهتها، أليس كذلك يا إلويز؟».

فردت إلويز بضعف: «هذا صحيح».

ثم ساد الصمت وهما يجتازان البوابة، فأدركت تايري أن الكبرياء الصلبة ميزة متوارثة.

قالت تايري وهي تقابل عيني إلويز في المرآة: «إذن فقد هدأت الأمور

بيننا، أليس كذلك؟».

فأجابت الفتاة: «نعم، هدأت».

عادت تايري فنظرت إلى سنكلير، تريده أن يلعب دوره. وساد سكوت مخيف وكأنه يقنع نفسه بألا يثور ثم التوت شفتاه قليلاً قبل أن يقول: «بردت المشكلة تماماً».

في داخل البيت عاد سنكلير إلى سلوك أكثر جدية، فاستأذن من تايري لينفرد بابنته في مكتبه.

ألقت إلويز نظرة قلقة على تايري قبل أن تدخل المكتب، كما نظر إليها هو أيضاً محذراً إياها من أن تتدخل.

لم يكن أمام تايري ما تفعله سوى التوجه إلى المطبخ لتحضّر القهوة. مرت خمس دقائق أخرى قبل أن تأتي إلويز للبحث عنها.

طرفت تايري بعينها وهي ترى الفتاة الباسمة: «هل أنت بخير؟».

ـ كان أبي رائعاً. لقد عانقني وجعلني أعده بألا أهرب مرة أخرى، ثم، أتعلمين؟ لن يعيدني إلى المدرسة إلا بعد انتهاء الفصل المدرسي.

يبدو أن بإمكان سنكلير أن يجد تسويات لبعض الأمور.

وتابعت إلويز: «كما قال إن بإمكانك أن تبقي هنا إذا شئت... أرجوك، قولي إنك ستبقين. يمكننا أن نقوم معاً بمشاريع كثيرة....».

ـ أنا...

بدا واضحاً أن إلويز متلهفة لبقائها. ولم تشعر تايري بالغرور فالفتاة بحاجة إلى صحبة. أما المفاجأة فهي أن سنكلير يؤيد هذه الفكرة. أم لعله وجد صعوبة في أن يرفض؟

طرحت تايري الجبن عنها وقالت شاعرة بالانزعاج: «عليّ أن أناقش الأمر مع أبيك أولاً».

ـ هذا عظيم. ما زال في مكتبه كما أظن.

قالت تايري وقد استطاعت أن تمحو من صوتها أي غضب: «سأذهب وأراه».

طرقت باب المكتب فأجاب: «أدخلي».

كان جالساً خلف مكتبه ينتظرها كما يبدو. أغلقت الباب خلفها بحزم قبل أن تسأله: «هل قلت لإلويز إن بإمكاني البقاء؟».

فأجاب: «لقد طلبت ذلك فأجبتها أني موافق إذا شئت أنت ذلك.... فهل كان عليّ أن أفترض أنك لا تريدين ذلك؟».

ـ أنت تعلم جيداً أنني كنت أنوي السفر إلى الخارج.

ـ لكي تهربي من الصحافة؟

ـ نعم.

ـ لكنك استطعت ذلك في اليومين الماضيين.

ـ نعم، ولكن إلى متى؟ هل تريدهم أن يخيموا أمام بابك؟

لم تكن تايري واثقة من أن الصحافيين لن يقتفوا أثرها إلى هنا.

ـ لا، لكنني سأعتاد على ذلك إذا حدث. أظن أن من الأفضل أن تبقي هنا.

فقالت ساخرة: «من الأفضل لمن؟ هذا لا يتعلق بحاجتك إلى رفيقة لإلويز، أليس كذلك؟».

ـ لا. يمكنني أن استدعي مدبرة منزلي لرعاية إلويز إذا اضطررت لذلك، رغم أنها تفضلك أنت.

فسألته متحدية غير مصدقة: «وأنت؟».

أجاب بعد حين: «ستبعثين البهجة في البيت أكثر من مدبرة المنزل، كما أنك تجيدين التصرف مع مزاج إلويز».

بقيت مشككة فسألته: «وماذا عنّا، أنا وأنت؟».

رفع عينيه إليها فرأت فيهما عدم اكتراث هادىء: «أنت وأنا؟ أنا لا أنوي متابعة ذلك، هذا وعد».

كان صوته رسمياً جاداً فلم تشك في صدقه. ورغبته العابرة بها يبدو أنها عبرت ومضت. ترى هل تأثير سحرها سريع الزوال أم أنها لا تقارن بزوجته السابقة، السيدة سنكلير؟

www.elromance.com

تردد السؤال الأخير في رأسها وتبعه شعور غير مألوف حاولت أن ترفضه. لا يمكن أن تغار من امرأة ميتة. هذه سخافة لا يقبلها عقل! ولكن هذا ما شعرت به..

وعندما طال صمتها، سألها: «هل ستبقين إذن؟».

عندما دخلت تايري المكتب كانت مصممة على الرفض. وكانت تعلم ذلك، وما زالت تتذكر الأسباب أيضاً. ومع ذلك صدرت عنها كلمات أحست بأنها ستغيّر حياتها كلها: «نعم. لا بأس».

***

١٠ - من دون شهود

كانت تايري تنوي البقاء فترة قصيرة لإرضاء حاجة إلويز إلى الصحبة، ولإبعاد اهتمام الصحافة عنها، لكن الأيام أصبحت أسبوعاً ثم اثنين.

لم يكن في قضاء الوقت مع إلويز أي صعوبة... ذهبتا إلى السينما معاً، وإلى السوق مرة أخرى. لكنهما كانتا سعيدتين أيضاً في قضاء الوقت في البيت تستمعان إلى الموسيقى وتطليان أظافر بعضهما البعض. كانت تشعر وكأن لديها أختاً صغرى.

تصورت تايري أن قضاء الوقت مع سنكلير في المنزل نفسه سيكون مربكاً للغاية، لكنها رأت العكس. لعل وجود إلويز، أو وجود سنكلير هو الذي جعلهما يبذلان جهداً. لكن سنكلير في الحقيقة أسهل معشراً مما يبدو عليه، كما أنه ذكي سريع البديهة عندما يشاء.

وارتاحت هي في دور الضيفة المرافقة، فتابعت تحضير بعض الوجبات بعد أن أخذت موافقة مديرة المنزل.

كانت السيدة إندربي تشيد بالسيد سنكلير دوماً، وهذا طبيعي إذ من غير المحتمل أن يحاول إغراءها. وكانت تايري تحتفظ بأي ملاحظات سلبية لنفسها. فقد أعطاها نقوداً لتشتري ملابس لئلا يكون عليها أن تعود إلى الكوخ، كما نصحها بالاتصال بمحامي فرقتها لتسأله عن التزامات العقد. وارتاحت تماماً عندما علمت أنها أصبحت الآن حرة في التعامل مع أيّ شركة تسجيل.

www.elromancia.com

أما مديرها لس غيراي، فكان وضعه مختلفاً. كان المحامي قد أعطاه رقم هاتف سنكلير فأخذ يزعجها يومياً تقريباً، ويلحّ عليها بأن تقوم بجولة مع الفرقة التي أعاد تشكيلها. وكانت الفكرة منفرة بالنسبة إلى تايري لكنها لم تشعر بقدرتها على التحدث عنها مع سنكلير.

لم يكن يشجعها على الإفضاء إليه بشيء، وإذا حدث أن أجاب على مخابرة من لس، فهو يناولها السماعة من دون كلمة ويبقى مزموم الشفتين بقية السهرة.

يوم الجمعة، كانت تايري على وشك البكاء حين قاطع رنين التليفون عشاءاً خاصاً أقامته في غرفة الطعام.

نهضت إلويز لتجيب لكنها عادت على الفور لتؤكد لها مخاوفها.

إستأذنت تايري بأدب لكنها لم تغفل عن النظرة السوداء التي رمقها بها سنكلير.

قالت للمدير من دون أن تضيّع ثانية في الترحيب به: «طلبتُ منك ألاّ تتصل بي في مثل هذا الوقت».

قال وهو يلوي شفتيه ساخراً: «لماذا؟ ألا يعجب هذا سنكلير؟».

من حسن الحظ أن هذا كل ما يعرفه لس، وتمنت أن يبقى الأمر بهذا الشكل: «ماذا تريد يا لس؟».

ـ أنت تعرفين ما أريد يا تاي، أريد الجواب.

فقالت بحدة: «قد حصلت عليه».

ـ أريد جواباً أستطيع قبوله. إذ ألغيت هذه الجولة فسيكلفني ذلك الكثير وبالتالي سيكلفك أنت الشيء نفسه.

وكانت متعبة من هذا التهديد: «قلت لك إن هذا لا يهمني، إذهب وارفع دعوى في المحكمة».

ـ لا تظني أنني لن أفعل.

ـ ولماذا لا ترفع دعوى على كيت وستو لأنهما ماتا وتركاك؟

قالت هذا بازدراء ولم تنتظر جوابه بل أقفلت السماعة في وجهه، ثم

وقفت دقيقة أو اثنتين تتمالك نفسها قبل أن تعود إلى غرفة الطعام.

التفت الإثنان نحوها. ولم يبتسم أي منهما. أتراهما سمعاها تصيح؟

جلست إلى المائدة وحاولت أن تأكل لكن الطعام كان قد أصبح بارداً كجوّ الغرفة.

حاولت أن تقف: «سأخلي المائدة».

ـ لا، إلويز ستفعل ذلك.

وألقى على ابنته نظرة منعتها من الجدل، فقالت وهي تحمل ما تستطيعه من أطباق: «بالتأكيد. هل أحضر الحلوى؟».

فقال أبوها: «أنا لا أرغب في ذلك».

وهزت تايري رأسها رافضة هي أيضاً.

فأضافت إلويز: «قهوة؟».

فقال أبوها مدهوشاً: «هل تستطيعين تحضيرها؟».

فتنهدت إلويز: «أنا في الثانية عشرة يا أبي».

عبس معتذراً: «آسف. نعم من فضلك».

وعندما نظرت إلويز إلى تايري قالت هذه: «من فضلك».

عندما غادرت إلويز الغرفة سأل سنيكلير تايري: «هل يمكنها أن تحضّرها؟ لا أريدها أن تحرق نفسها».

ـ لن تحرق نفسها فقد سبق وحضّرتها مرات عدة.

كان صوت سنكلير ساخراً حين قال: «ماذا سنفعل من دونك».

ولم تجد تايري ما تقوله فتجاهلت الأمر. لكن سنكلير لم يعد مستعداً لتجاهل موضوع رحيلها: «متى قررت الرحيل؟».

كان سلوكه من البرودة بحيث جعلها تقول بحدة: «غداً إذا أحببت».

وندمت على الفور. لم تشأ أن ترحل على الإطلاق.

قال وهو يصر على أسنانه: «أنا لا أحب ذلك، لكنني أفضّل أن تكوني حذرة قبل أن تختفي في جولتك حول العالم».

وفوجئت! لم تكن قد ذكرت له الرحلة. فسألته ببطء: «ومن أخبرك

عنها؟».

- ليس أنت، على أيّ حال.

- لس؟

- فأومأ. فعادت تسأله: «متى؟».

- منذ ثلاث ليال عندما خرجت مع إلويز تتمشيان. كان يظنني أعلم بقصة الجولة طبعاً. في الحقيقة، إتهمني بأنني أقف في طريقك.

نظرت إليه معتذرة. لم يخبرها لس عن ذلك: «ماذا قلت له؟».

- لا شيء. وجدت أن إظهار الجهل ليس حكيماً.

- آسفة لأني وضعتك في هذا الموقف المحرج. أنا لم أخبرك عن الرحلة لأنني لم أقرر الذهاب.

فقال بشيء من الرقة: «لماذا لا؟».

- لا أريد أن أغني مع فرقة جديدة، فقد كانت فرقة ستو وليست فرقتي. وكنت فيها بديلة لأخرى.

فقطب جبينه: «ماذا تعنين؟».

- جئت بديلة لمغنيتها الأساسية ذات مرة. ولسوء الحظ، جرح ذلك كرامتها فتركت الفرقة. عندئذ، أقنعني ستو بتكرار التجربة حتى انتهى بي الأمر إلى الاختيار بين الكلية والفرقة الموسيقية.

- الكلية؟ ما الذي كنت تتعلمينه؟

ألم تخبره بأن ليس لديها مؤهلات؟

فقالت تذكره: «العزف على الكمان، في أكاديمية غلاسكو الملكية».

ما زال سنكلير لا يدري أيصدقها أم لا. يبدو أنها عاشت حياة حافلة جداً بالنسبة إلى فتاة في الثالثة والعشرين.

- ربما يمكنك أن تعزفي لي ذات مرة.

- أتعني للاختبار؟

لم يهتم بالإنكار، ولوى فمه قليلاً: «وهل ستنجحين في الاختبار؟».

قالت شاعرة بأن ما من حاجة لإثبات نفسها: «يمكنني أن أعزف».

- في هذه الحالة، يسرني أن أسمعك.

- قد تصاب بخيبة أمل. حتى في أحسن الحالات، ربما كنت سأنتهي كعازفة ثانوية في فرقة موسيقية محلية.

- ولكن هل كنت ستصبحين أسعد؟

- من يدري؟ إنما حتماً أفقر بكثير مما أنا عليه الآن.

سألها: «وهل المال شيء هام؟».

فأجابت مفترضة أنه يتكلم انطلاقاً من نشأته الأرستقراطية: «نعم، بالنسبة لنا نحن اللذين لم نتنعم به منذ الطفولة».

- لم أكن أقصد الاستعلاء، كل ما قصدته هو أن له اعتباراً كبيراً. قد تكون هذه الرحلة مربحة للغاية على ضوء نجاحك الحالي.

تشوش ذهن تايري. لماذا هو، من بين كل الناس، يشجعها على طلب الربح بهذا الشكل؟

قالت بخشونة: «سيكون هذا استغلالاً لموت ستو و... كيث فقط، ولا يمكنك أن تحب ذلك».

قال وقد غامت عيناه بالدموع عند ذكر ابنه بالتبني: «ما أريده أنا لا علاقة له بهذا».

مؤخراً، أصبح هذا الموضوع محرماً بينهما. لكن إلويز، كانت متلهفة للحديث عن كيث وحياته، فروت لها تايري بحذر قصصاً عن النواحي البراقة المشرقة من حياته مع الفرقة. أما سنكلير فلم يعد يطرح عليها أسئلة ولعله لم يعد يريد الأجوبة.

وتابع بصوت رسمي جاد: «يمكن أن تكون هذه فرصة نادرة لك».

قد يكون هذا صحيحاً، لكنها لم تكن كذلك، فهي تملك المال. كما أن الجولة من دون كيث وستو لم تكن تجذبها بحيث تكررها.

ما يزعجها حقاً هو موقف سنكلير. شعرت وكأنه يدفعها إلى الرحيل.

وأجابته بتثاقل: «اسمع، إذا كنت متلهفاً لرحيلي، فقل هذا بصراحة. لست مضطراً لإرسالي في جولة حول العالم لكي تتخلص مني».

ونهضت تريد مغادرة الغرفة فدفعت كرسيها إلى الخلف وألقت فوطتها على المائدة.

نهض في الوقت نفسه وعندما أرادت أن تبتعد منعها. قبض على ذراعها بأصابع قوية فأخذ قلبها يخفق لمجرد لمسه لها.

جعلها ذلك من الجنون بحيث قالت بصوت كالفحيح: «دعني أذهب».

فردّ بصوت رقيق: «هيا، يا تاي. أنا لا أريد شجاراً، كما أنني لا أريدك أن ترحلي أيضاً. يجب أن تعلمي ذلك».

فقالت بصوت مخنوق: «لماذا تحاول إذن أن تقنعني بهذه الجولة؟».

فقال وهو ينظر في عينيها: «لأنني أشعر أن هذا ما ينبغي عليّ أن أفعله، لأنني أخاف أن تندمي إذا لم تذهبي. ولكن هذا لا علاقة له أبداً برغبتي الخاصة».

وصدقته، إذ لا يمكنها غير ذلك وهو ينظر إليها بطريقة أوضحت لها أن ما كان بينهما لم يمت بالنسبة إليه.

وبالنسبة إليها؟ أتراها كانت تنتظر هذه اللحظة؟ لأن يمدّ يده ليلامس وجنتها ويرفع رأسها برقة؟ أم أنّ الخوف هو الذي جعل قلبها يخفق بهذا العنف؟

كان الوقت قصيراً جداً للعثور على أجوبة عن هذه الأسئلة قبل أن يعانقها. بعدئذ، لم تعد تهتم بشيء واستسلمت لشعور العجز التام.

وهكذا، كانا متعانقين عندما دخلت إلويز. لم تقرع الباب، ولماذا تفعل ذلك؟ فهذا بيتها، وأبوها يعانق تاي من بين كل الناس.

وقفت الفتاة جامدة لحظة، والصينية بين يديها وهي تحدق إليهما قبل أن تقرر أن الانسحاب هو أفضل الخيارات.

قالت بما يقارب التسلية وهي تتراجع خارجة من الغرفة: «آسفة».

ابتعدت تايري عن سنكلير، لكن بعد فوات الأوان طبعاً. نظرت إلى الباب المغلق وأفكارها مركزة على إلويز. وقالت تستحثه: «عليك أن تتبعها

وتقول لها شيئاً».

فسألها وهو يتخلل شعره المشعث بأصابعه: «ماذا سأقول بالضبط؟».

لكنها لم تعش مثل هذا الموقف من قبل: «لا أدري».

- وأنا أيضاً.

أتراه يتصنع البلاهة؟ وقالت: «عليك ألاّ تدعها تكوّن فكرة خاطئة عنا».

- وما هي تلك الفكرة الخاطئة؟

ونظر إليها رافعاً حاجبيه منتظراً جوابها.

أخذت تايري نفساً عميقاً لتهدّىء نفسها. لقد تذكرت الآن لما العلاقة بينهما مستحيلة، ومن المؤسف أنها لم تتذكر ذلك منذ لحظات وإلا لوفرت على نفسها هذا الحرج.

- إسمع، إنها ابنتك فقل ما تحب. أما أنا فسأصعد لأحزم أمتعتي.

- تحزمين أمتعتك؟ لا يمكنك أن ترحلي لسبب كهذا.

- سأذهب إلى بيتي يوم الأحد، على أيّ حال. إنما من الأسهل أن أرحل الآن.

- أسهل لمن؟

- لكل واحد منا.

كانت تايري تخشى رد فعل إلويز على هذا العناق. كما أنّ قلبها الذي كان يخفق بعنف أبلغها بمدى ضعفها.

نظر إليها: «ربما أسهل بالنسبة إليك يا تاي، ولكن ليس بالنسبة إليّ... أتريدينني أن أعتذر لأنني عانقتك؟».

فهزت رأسها. هذا سخيف لأنهما يعلمان كم استمتعت بالعناق.

وعادت تقول: «يجب أن تذهب وتتحدث إلى إلويز».

- شرط أن تعديني بألا تهربي.

كانت تشعر أنها أكثر إرهاقاً من أن تهرب في ضوء القمر، فقالت: «لا بأس، أعدك. سأصعد إلى غرفتي».

أومأ سنكلير راضياً ثم وقفا لحظة ينظران إلى بعضهما البعض.

رأت الحيرة على ملامحه وكأنه يتساءل عما جعله ينجذب إليها. إنها حتماً لا تقارن بتلك الشقراء الطويلة الرشيقة التي كانت زوجته.

هذه الفكرة جعلتها تسلخ نظراتها عن نظراته وتتجه نحو الباب.

لحق بها إلى السلم: «أظنها في غرفتها».

وفي منتصف السلم، تعالى صوت الموسيقى. وعند فسحة السلم أخذت تايري تغني.

شاركها سنكلير الغناء ثم قال لها: «أنت حقاً تغنين جيداً».

تملكها الإغراء في أن تقول: «أعلم هذا». لكنها خافت أن يعتبر هذا غروراً وليس مجرد مزاح، فاختارت أخيراً التهذيب: «شكراً».

قال عندما وصلا إلى باب غرفة إلويز: «تمنيّ لي الحظ، إذن».

- اسمع، قل لها إنني ألقيت بنفسي عليك. ربما هذا أفضل.

فرفع حاجبه: «وهل ستصدق ذلك؟».

- ربما.

قال لها: «تاي نيمو تتحرش بأبيها العجوز المملّ؟ أنا حقاً لا أظن ذلك، وأنت؟».

ربما إلويز تنظر إلى المسألة بهذه الطريقة، لكن تايري ترى أنها المرأة غير المناسبة لجراح شهير ناضج مثله. على أيّ حال، كل هذا غير مهم لأنهما غير مناسبين للزواج في عينيّ أي إنسان.

وعندما توجهت إلى غرفتها، هتف: «شكراً، على أيّ حال».

فهتفت تجيبه بالجملة الاسبانية الوحيدة تقريباً التي تجيدها: «لا داعي للشكر».

واستلقت تايري على سريرها وقد جفاها النوم.

عناق واحد لا يدل على شيء هام. لا يشكل سبباً كافياً لتظن نفسها عاشقة أو لتعتقد أنه يحبها.

لا شيء، فلماذا تطيل التفكير في ذلك العناق إذن؟ ولِمَ تتساءل عما إذا

كان سيعانقها مرة أخرى؟ ولِمَ تحلم به وبالمزيد؟

* * *

لم يحدث قط أن وقعت تايري في الغرام أثناء مراهقتها، لكنها استيقظت الآن وهي تشعر بأنها مغرمة! ست ساعات من النوم وما زالت الهواجس تتملكها.

خاطبت صورتها في المرآة تقول: «كان مجرد عناق!».

رأت نفسها في المرآة متورمة العينين، مثقلة الأجفان بالنعاس، وهذا لا يمكن أن يكون حلم أي رجل وخصوصاً سنكلير الذي أمضى أربع سنوات مع شقراء ذات جمال لا عيب فيه.

خيّل إلى تايري أنّ سنكلير ما زال يحتفظ ببعض الصور في مكان ما. ولعله يخرجها وينظر إليها كلما أراد أن يذكّر نفسه بما خسره ذات يوم أو ليسأل نفسه عما جعله يهتم بمخلوقة أقل منها مثل تايري.

وضعت تايري حداً لأفكارها هذه. إن الغيرة شعور مهين حقاً.

وصلت إلى مائدة الفطور متأخرة، وكان سنكلير وابنته لا يزالان جالسين إلى المائدة. حياها سنكلير بصوت مسرور: «صباح الخير».

أما إلويز فلم تقل شيئاً بل رفعت رأسها ومنحتها ابتسامة عريضة.

ما الذي قاله أبوها عن الليلة الماضية؟ سحبت كرسياً ثم سكبت بعض العصير فيما استمرت إلويز في الابتسام وكأن شيئاً ما يسليها.

قال سنكلير لتايري: «كنا نتحدث عن حفلة الشواء».

- حفلة الشواء؟

- في منزل بوب بعد ظهر اليوم... لقد أعلمتك من قبل.

كان ذلك منذ أكثر من أسبوع وبطريقة عابرة، وافترضت أنها ستكون قد رحلت فلم تعلق المعلومة في ذهنها.

سألتها إلويز: «ستأتين معنا، أليس كذلك؟ لن تكون الحفلة سارة مع أبي وحده».

فقال أبوها بجفاء: «شكراً».

نظر الاثنان إلى بعضهما البعض، ثم صبّا اهتمامهما مجدداً على تايري.

- لا ادري..

شعرت بأن الأمر سيكون مربكاً. بأي صفة سترافقهما؟ صديقة للأسرة أم مرافقة لإلويز؟

وأخطأت إلويز فهم ترددها فسألتها: «هل أنت خائفة من أن يعرفوا شخصيتك؟».

هزت تايري رأسها نفياً. فقد خرجت مرات عدة من دون أن تلفت نظر أحد: «لا. هذه ليست مشكلة».

وتساءلت كيف تعطي عذرها لكن سنكلير قال: «اتفقنا إذن، سأتصل بيوب لأعلمه بحضورنا».

ونهض واقفاً ثم خرج قبل أن تجد فرصة للرفض.

لكن إلويز لاحظت عدم تحمّسها: «أنت ترغبين في أن تذهبي معنا، أليس كذلك؟».

ولم تشأ تايري إثارة أيّ مشكلة: «نعم، طبعاً. لكن بما أنه آخر يوم لك قبل عودتك إلى المدرسة، فقد تفضلين أن تكوني وحدك مع أبيك».

- ليس بشكل خاص. في الواقع أسمح لك بأن تشاركيني إياه إذا شئت.

وابتسمت لها الفتاة ابتسامة ذات معنى. كان بإمكان تايري أن تتجاهل ذلك، لكنها أرادت ايضاح المسألة، فقالت مختارة كلماتها بعناية: «إلويز، بالنسبة إلى الليلة الماضية».

فقاطعتها الفتاة: «أتعنين عندما كنت أنت وأبي متعانقين؟».

تساءلت تايري عما إذا كانت الوحيدة التي تشعر بالخجل من هذا الموضوع. ربما اعتادت إلويز أن ترى النساء يلقين بأنفسهن على أبيها.

وأضافت الفتاة: «لا تهتمي! لقد أوضح لي أبي الأمر، وأنا تقبّلت ذلك».

- هذا حسن. لكن ما الذي قاله أبوك لك؟

رأت تايري أن الأمر سار بشكل حسن لكنها سألتها هذا من باب الفضول، فأجابت إلويز: «أنت تعرفين أبي. إنه يدور ويهمهم ويتمتم حول الموضوع. وهو أساساً مفتون بك إلى حد بالغ لكنني لم آخذ الأمر جدّياً لأنك أصغر منه بكثير ونجمة بوب لامعة».

كان رد فعل تايري المباشر عدم التصديق: «هل قال إنه مفتون بي إلى حد بالغ؟».

- ربما لم يقل هذه الكلمات بالذات لكن هذا ما عناه.

تملك تايري الشك في ذلك.

- لا بد أنك مفتونة به أنت أيضاً، وإلا لما سمحت له بأن يعانقك، أليس كذلك؟

إزاء هذا المنطق، اعترفت تايري قائلة: «أبوك رجل جذاب».

فقالت إلويز بابتسامة عريضة: «هذا يعني أنك مفتونة به».

ولم تعرف تايري ماذا تقول: «أنا... أنا... لا أريدك أن تضخمي الأمر يا إلويز، أتفهمين؟».

- بكل تأكيد. عليّ الا أخرج الآن لأشتري ثوب وصيفة العروس.

فوجئت تايري لحظة ثم ضحكت. لعل إلويز على صواب في عدم أخذ الأمور على محمل الجدّ: «في الواقع، سبق وخططت لكل ذلك. ثوبك سيكون وردي اللون، والكم بشكل جرس، أما صدر الثوب فمزموم، ستبدين فيه أشبه بأميرة صغيرة».

- آه...

ووضعت إلويز إصبعها على فمها تسكتها.

قالت تايري قبل أن تلاحظ أن سنيكلير عاد: «حذّرتك من عدم تضخيم الأمر».

- لم التحذير؟

الحمد لله لأنه لم يسمع سوى الجملة الأخيرة من الحديث. فألقت تايري

نظرة تحذير على إلويز. ماذا لو أخبرته أنهما كانتا تناقشان موديل ثوب وصيفة العروس؟

طرفت إلويز بعينيها وأجابت: «حديث بنات يا أبي!».

- في هذه الحالة، سأهتم بشؤوني الخاصة. هل رأت أي منكما معطفي الخفيف؟

نفت الاثنتان ذلك، لكن إلويز تطوعت للبحث عنه في السيارة.

بقي سنكلير معها. نظر في عيني تايري فحوّلت هذه عينيها.

أخذت تايري تتأمل غطاء المائدة. من السخافة أن يخفق قلبها بهذا الشكل كلما بقيا وحدهما. كان ذلك أشبه بمرض.

قال وهو يضحك قليلاً: «تحدثت إلى إلويز عن ليلة أمس، أخذت الأمر بشكل حسن».

وماذا عنه هو؟ من الواضح أنه رآه مسلياً، ولماذا لا؟ لا بد أنهما أخذا يمزحان معاً حول هذا الأمر. من المؤسف أن روح النكتة هجرتها الآن.

وعندما رآها صامتة أضاف: «أعني عناقنا».

فردت بحدة: «فهمت، وهكذا يمكننا أن ننسى ذلك؟».

فقال بصوت فيه نبرة ضئيلة من السخرية: «إذا شئت ذلك».

جعلها رده هذا ترفع رأسها مرة أخرى لتنظر في عينيه، فسألها وكأنه يقرأ أفكارها: «غلطة؟».

أجابته كاذبة: «نعم».

لكن هذا مجرد كلام. وهما يعلمان ذلك. كيف تنسى ونظرته إليها تذكّرها بكل ما حصل وتتركها في شوق إلى المزيد؟

تمنت ألا تحمّر خجلاً لكنها شعرت بأنها فعلت. وتملكها الارتياح عندما عادت إلويز التي نبهتهما إلى قدومها بالتنحنح عند الباب.

* * *

مع اقتراب العصر، بدأت تايري تشعر بالسرور لأنهم سيذهبون إلى حفلة الشواء تلك، إذ قد يلهيها الآخرون عن التفكير في سنكلير وربما سيمنعه ذلك أيضاً من النظر إليها على الدوام ما كان يثير أعصابها.

دخلت إلويز إلى غرفتها: «تاي. يريد أبي أن يعلم إذا كنت جاهزة».

- سأنزل حالاً.

وأخذت تتفحص صورتها في المرآة لآخر مرة. كان عليها أن تختار زياً من ثلاثة كلها بسيطة. كان يوماً حاراً، فاختارت بنطلوناً بني اللون وقميصاً مقفلاً أبيض من دون كمين.

سألت سنكلير الذي كان ينتظر عند الباب: «هل أبدو على ما يرام؟».

دهش لهذا السؤال، فهذه أول مرة تستشيره فيها. بدت فتية ذات وجه طفولي ومع ذلك مثيرة للغاية. وأدرك أنها تسأله ما إذا كانت ملابسها لائقة بالمناسبة.

وأخيراً قال: «إنها ممتازة».

وتدخلت إلويز: «إنه يعني أنك رائعة الجمال، أليس كذلك يا أبي؟».

بدا على وجه تايري الإحراج ومع ذلك ضحكت إلويز، وقال سنكلير بشهامة وهو يفتح لهما الباب: «من دون تعليق».

كان يرتدي بنطلوناً كاكي وقميصاً قصير الكمين، ملابس بسيطة إنما بدت مناسبة في نظر تايري. لكنه وسيم مهما ارتدى.

لم يكن منزل بوب شيفرز بعيداً. لكن المسافة بين البيتين كانت كافية لتوتر أعصابها. وعدها سنكلير بألا يكشف آل شيفرز شخصيتها، ولكن ماذا لو انكشف أمرها بطريقة ما؟

عند وصولهم كانت الحفلة قد ابتدأت، وبدا واضحاً أن سنكلير وابنته يشعران أنهما في بيتهما. فقد توجهت إلويز إلى الداخل على الفور بحثاً عن ابنتي بوب المراهقتين، بينما دار سنكلير حول البيت الأنيق متوجهاً إلى الحديقة. عندما نزلا الدرجات اجتذبا الأنظار. ولم تشعر تايري بالغرور لأنها سرعان ما أدركت أن الفضول هو لحضور سنكلير تتبعه امرأة مجهولة.

معظم الضيوف كانوا أصدقاء وزملاء له ولبوب وسرعان ما تجمعوا كلهم في جلسة واحدة.

www.elromancia.com

في الساعتين الأوليين، بقي سنكلير إلى جانبها. لعله خاف مما ستقوله لو تركها وحدها، أو لعله يعلم أن أصدقاءه سيعتبرونها من الدرجة الثالثة.

عندما سألوها عن نوع عملها أجابا في الوقت نفسه، فقالت إنها مرافقة فيما قال هو إنها موسيقية. كان هذا تناقضاً تاماً. لكن لحسن الحظ استنتج المستمعون أنها موسيقية طموح تعمل حالياً كمربية.

كانوا أناساً مهذبين، وإذا أساؤا الحكم عليها فلم يظهروا ذلك. ومع ذلك شعرت بالسرور عندما انتهت عملية التعارف واستطاعت أن ترتاح قليلاً.

مضى بعض الوقت قبل أن تتعرف إلى مضيفتهم، جين شيفرز، لكنها انسجمت معها على الفور. تجنّبت تايري ذكر سنكلير، ولكن هذا لم يمنع جين من أن تسألها: «هل الأمر بينك وبين سنيك جاد؟».

كان السؤال مباشراً بحيث لم تشعر تايري بالإساءة، كما لم تستطع أن تنكر أي تورط إذ كانت واثقة من أن بوب قال شيئاً لزوجته.

فأجابت بضحكة مرغمة: «لا أظن ذلك».

ـ ولماذا لا؟ أم أنه لا ينبغي لي أن أسأل؟

فهزت تايري كتفيها: «أنا لست من النوع الذي يحبه».

ـ لماذا تقولين ذلك؟

وكانت جين قد رأت الطريقة التي ينظر بها سنكلير إليها.

ـ لأسباب كثيرة. أولاً، أنا لا أقارن بزوجته السابقة.

غضّنت جين أنفها اشمئزازاً: «نيكول؟ برأيي أن عدم الشبه بها هو شيء إيجابي».

ـ لكنها كانت رائعة الجمال.

ـ نعم، لكنها تصرفت بشكل سيء معه. أتعلمين أنها تركته؟

ـ نعم، أخبرني سنكلير.

ـ مرتان وليس مرة واحدة.

ولم تكن تايري تعلم ذلك: «هل أعادها إليه بعد فرارها أول مرة؟».

فأومأت جين.

ـ إذن، كان يحبها كثيراً.

ـ أنا واثقة من أنه فعل ذلك من أجل كيت فقط.

فقطبت تايري: «لكنه ليس والد كيت، أليس كذلك؟».

ـ لا، ولكن هذا لم يمنع نيكول من أن تترك كيت لسنكلير عندما هربت مع صديقها. يبدو أن رجلها الجديد لم يكن مستعداً لأبوة سريعة.

ـ مسكين كيت.

وأدركت تايري ما عاناه كيت من شعور بعدم الأمان.

قالت جين: «على أيّ حال، العناية بكيت جعلت من الصعب جداً على سنكلير أن يرفض عندما توسلت إليه نيكول لكي يتصالحا. وبعد ذلك بوقت قصير حملت بالويز، وإلا لما بقيت معه تلك المدة التي بقيتها».

ـ كم كان عمر إلويز عندما تركتها أمها نهائياً؟

ـ حوالي ستة أشهر. لقد هربت مع كاتب يعيش في القرية. ولحسن الحظ انتقلا بعيداً، لكن الأمر بقي صعباً بالنسبة إلى سنكلير.

ـ والولدان؟

ـ أخذتهما معها حينذاك. لكن عندما اكتشف سنكلير أنها تركتهما لوالديهما، رفع عليها دعوى وصاية على الولدين، لكنه كسب قضية إلويز فقط... ومنح القاضي كلاً منهما الحق في رؤية الولد الآخر لكن نيكول قطعت كل اتصال عندما انتقلت إلى خارج البلاد. ولم يعد كيت إليه إلاّ بعد أن ماتت نيكول. عندئذ، كان الأوان قد فات على تمتين علاقة الأب بالإبن.

لم يكن الذنب ذنب سنكلير، لكنني أظنه يلوم نفسه بطريقة غير مباشرة على موت كيت.

كان بإمكان تايري أن تنفي ذلك بقولها إنه يلومها هي، لكنها لا يمكن أن تعلن أمراً كهذا من دون أن تبوح بحقيقتها.

بدا أن جين أيضاً تتساءل عما اذا أكثرت من الكلام: «قد لا يعترف سنكلير بحقيقة ما جرى. ربما كبرياؤه أو رغبته في حماية الويز تمنعه. لكن

نيكول أشبه بأرض مجدبة لا خير فيها».

كانت تايري قد لاحظت قلقها، فقالت: «لا تخافي. لن أقول له شيئاً».

ابتسمت لها جين بحرارة، ثم انتقلت إلى مواضيع أكثر أمناً. وفيما كانتا تنقلان الأطباق إلى الحديقة ناداهما شخص باسميهما.

التفتتا فرأتا رايس ويليامز يقترب منهما. لا بد أنه وصل أثناء وجودهما في المطبخ.

كانت ابتسامته موجهة إلى تايري رغم انه قال: «جين، أنت جميلة كالعادة».

ـ ليتني أصدقك يا رايس.

ثم أضافت تنصح تايري قبل أن تتركها وتبتعد: «إحذري هذا الرجل».

ضحك رايس لقولها ثم تابع بنعومة: «كنت أرجو أن تحضري. لم تتح لنا الفرصة لنودع بعضنا البعض ذلك اليوم... أما زلت تشتغلين عند سنيك كما فهمت؟».

ـ نعم، بشكل ما.

ـ أين هو إذن؟

ونظر حوله فظهر سنكلير فجأة: «مرحباً يا رايس».

حياه سنكلير بشيء من البرودة قبل أن تنتقل عيناه إلى وجه تايري ربما متسائلاً أين كانت.

قال رايس: «سنكلير. لم تقل إنك ستحضر».

فقال سنكلير: «وأنا مندهش نوعاً ما لوجودك. لم اكن أظنك تحب حفلات الشواء».

ـ فكرت في الحضور من باب التغيير وأنا مسرور الآن لأنني فعلت ذلك.

وتحولت نظراته إلى تايري يتملقها فلم تأخذ الأمر جدياً بل كادت

تضحك. وبدا سنيك أقل مرحاً حين قال لرايس: «أين آخر صديقاتك؟ أم أنه لم يسمح لها بالخروج اليوم للعب؟».

ـ يا له من مزاج شنيع..

وقال لتايري: «سنكلير يقول إني أفضل النساء الصغيرات للغاية. كم عمرك؟».

ـ ثلاثة وعشرون.

ـ عجباً، هل هذا عمر صغير جداً؟ لأنه إذا لم يكن كذلك، فأنا حالياً غير مرتبط.

فقالت ببرودة: «أحقاً؟ سأتأكد أولاً قبل أن أحكم».

فهم رايس ما تعنيه فضحك: «أظن أن رجلنا هنا حذرك مني هو أيضاً».

أدرك رايس أن سحره غير فعّال مع تايري. سنكلير وحده رأى الأمر بشكل مختلف. في الواقع، كلمة غزل أخرى من رايس ستجعله يلكمه على فكه.

وهكذا ابتعد عنهما وهو يزمجر معتذراً، تاركاً رايس وتايري يحدقان إليه بحيرة. وأخيراً قال رايس: «إما أن سنكلير لا يفهم المزاح، وإما أن جنية خضراء العينين تملكته».

الفرضية الأولى برأيها هي الصحيحة إذ أن سنكلير يعلم دون شك أنها غير منجذبة إلى صديقه.

قرر رايس أن ولاءه أخيراً هو لسنكلير فقال لها: «هل نبحث عنه ونتصالح معه؟».

وتمنت لو أنها لم تحمر خجلاً حين تأبط ذراعها وذهبا للبحث عن سنكلير. لمحاه على الفور واقفاً بعيداً عن الجمع. لكنه لم يكن وحده.

كانت تايري قد لاحظت تلك المرأة من قبل، كانت طويلة رشيقة تلبس ثوباً وردي اللون وحذاء عالي الكعبين.

كانت تميل إلى سنكلير بحركات تملأ معانيها مجلدات.

تمتم رايس: «سبقتنا إليه الآنسة باركر سكوت الجميلة. هل تعرفت إلى ستيفاني؟».

ـ لا.

لكن الاسم بدا مألوفاً لديها. أليست هي المرأة التي صادفتها إلويز في البيت في ساعة مبكرة؟

وقال رايس: «لم تخسري الكثير بعدم معرفتها. إنها جميلة جداً لكنها مملة . . . مملة للغاية».

ـ يبدو أنه معجب بها.

ولم تستطع تايري إخفاء المرارة في صوتها . .

لفت هذا نظر رايس، وأخذ يتساءل عما يجري حقاً بين سنكلير ومرافقة ابنته الشابة. وأخيراً أجاب: «إنها تعمل في مستشفاه، وهذا كل ما في الأمر».

هزت تايري رأسها. إنها تريد الحقيقة: «إنه معتاد على الخروج معها، أليس كذلك؟».

ـ من وقت إلى آخر . .

لم تكن تتوقع أن تشعر بكل هذا الألم عندما تراه مع امرأة أخرى، يتحدثان ويضحكان وكأنه ما زال بينهما رباط حميم. أرادت أن تصرخ في وجه المرأة أن سنكلير لها هي . . . وهذا هو الجنون.

وكان رايس يراقبها عن كثب: «هل أنت بخير؟».

فقالت بابتسامة مرغمة: «بأحسن حال، أظنني سأحضر شراباً».

ـ فكرة جيدة . .

هتف بوب: «رايس، ها قد جئت إذن. ماذا بإمكاني أن أقول؟ أشعر أنك شرّفتني للغاية».

لوى رايس ملامحه لهذا التهكم الواضح: «لا بأس».

ضحك بوب بدماثة وهو يتحول إلى تايري: «كان سنكلير يبحث عنك منذ قليل».

اهتزت ابتسامة تايري المسمرة على شفتيها بينما قال رايس مغيراً الموضوع بمهارة: «حسناً، إنه مشغول بأمر آخر. وهكذا، هل بإمكاننا أن نحصل على بعض العصير؟».

تذكر بوب دوره كمضيف: «طبعاً. خذ ما تريده يا رايس. . . ماذا تحبين أن تشربي يا تايري؟».

فقالت بصوت خافت. «عصير برتقال من فضلك».

أخذت من يده الكأس ثم أخذت تحدق إلى محتوياتها كيلا ترى نظرات بوب. أخذت جرعة من العصير، ثم أخرى وحاولت أن تركز على حديث الرجلين لكن من دون فائدة.

وعندما طرح عليها رايس سؤالاً، لم تفهمه جيداً وهكذا لم تجد له جواباً فاعتذرت وابتعدت متجاهلة اهتمام رايس وهو يناديها: «تايري؟».

كانت تسعى للعثور على مكان هادىء تنفرد فيه بنفسها فاتجهت إلى الدرجات المؤدية إلى المنزل. وعندما وصلت ودخلت من باب الشرفة، جمدت فجأة وقد اكتشفت أنها ليست الوحيدة التي تنشد الانفراد.

كان بإمكانها أن تبتعد من دون أن يراها أحد لكنها تشعر من دون شك بالحاجة إلى تعذيب نفسها وإلا ما الذي جعلها تقف هناك وتنظر؟ ربما كانت بحاجة إلى ما يوقظها تماماً إذ رأت سنكلير مع امرأة أخرى بين ذراعيه. كانت تطوقه بذراعيها، وقد مال رأسها يبغي عناقاً لم تحصل عليه لأن سنكلير انتبه لوجود تايري .

على الأقل شعر بأن عليه أن يبدي شعوراً بالذنب، أو لعله استاء لهذه المقاطعة. وعندما تراجعت أخيراً، ناداها باسمها. لكنها لم تقف.

القلب المحطم كان يتألم بما يكفي من دون شهود.

***

١١ - حب ثمنه الموت

أراد سنكلير أن يلحق بتايري لكن المرأة الأخرى بقيت متعلقة به وكان صوت ستيفاني ساخراً وهي تقول: «هل تلك هي صغيرتك ومرافقة ابنتك؟».

- إنها ليست صغيرتي أو أي شيء آخر.

وفك ذراعيها من حول عنقه ثم تراجع خطوة.

- في هذه الحالة لما لا نعود إلى بعضنا إذن؟

كبح آهة تعبّر عن فروغ صبْره. كان قد تخلّص من ستيفاني من قبل، وإذا بها تلحق به إلى هنا. لو لم يكن بينهما علاقة في السابق لكان أكثر قسوة عليها.

- كما قلت من قبل، لا أظنها فكرة حسنة، أنا آسف.

وكان قد قال لها هذا في اللحظة التي سبقت ظهور تايري.

زمت فمها بشكل جميل، لكنها أذعنت أخيراً: «آه، حسناً، أنت الخاسر».

نظر إليها بارتياح وهي تبتعد، ثم خرج بدوره من المنزل.

وقف في الشرفة ثم أخذ يبحث عن تايري. تصوّر أن بإمكانه أن يراها بسهولة. شعرها الأسود القصير يجعلها تتميز عن كثير من الشقراوات المتشابهات. لكنه رأى بوب أولاً فسأله: «هل رأيت تايري؟».

تردد بوب قبل أن يُجيب: «نعم، أنا.. أخشى أنها رحلت».

- رحلت؟ وكيف رحلت؟

- أعتقد ان رايس أخذها.

توقّع بوب أن يغضب سنكلير، لكنه لم يتوقع منه أن يزمجر: «ذلك الفاسق ... ذلك الحقير ...!».

انتبه بوب إلى أنهما يلفتان أنظار الضيوف: «سنيك، دعنا نتحدث في الداخل».

فقال هذا مزمجراً: «لا أريد أن أتحدث».

تجاهل بوب رده. وحاول سنكلير أن ينفض عنه يده لكنه عاد فاستسلم ورافقه إلى مكتبه.

- لا يمكنك أن تلاحقها في هذه المنطقة.

نظر سنكلير إليه وكأنه جن: «ألاحقها؟ أتظنني سأفعل هذا مرتين في حياتي؟ إذا كانت تريد رايس، فحظاً سعيداً لها إذن».

هز بوب رأسه، لكن الحزن على وجه سنكلير أنباه بأنه يعني كل كلمة.

***

كانت تايري خارجة من المنزل عندما اصطدمت برايس، فامتدت ذراعه تسندها.

نظرت إليه لحظة من دون أن تعرفه. فسألها: «هل أنت بخير؟».

لم تستطع أن تتظاهر بالعكس: «لا. هل يمكنك أن تأخذني إلى البيت؟».

- البيت؟ أتعنين بيت سنكلير؟

- لا، بل بيتي.

فتردد «وهل سيوافق على ذلك؟».

فقالت بحدة «أتصوّر ذلك. ومع ذلك يمكنك أن تسأله عندما ينتهي من.. ستيفاني ... لا أدري ما اسمها».

- هل يفعل سنكلير ذلك؟.

ندمت على كلامها هذا. لا بد أن شعورها بالغيرة قضى على أيّ تعقل

فيها: «هل ستوصلني؟».

- بكل تأكيد.

سهل الأمر على رايس إذ شعر أنه يؤدي خدمة لسنيك أيضاً: «سيارتي أمام المنزل».

وسمحت له أن يمسك بمرفقها ما جعلهما يبدوان وكأنهما حبيبان، ولكن ما إن أصبحا في السيارة حتى أدرك رايس أن اهتمامها به منحصر بدوره كسائق.

حاول أن يتحدث إليها، لكنها كانت أكثر تعاسة من أن تهتم بذلك. لقد أعطاها الغضب العزيمة لتترك منزل شيفرز، وعليها الآن أن تبذل قصارى جهدها كيلا تنفجر بالبكاء.

عند وصولهما، لم تجد أي أثر للصحافيين. لقد مضى أسبوعان الآن وأصبحت قصتها خبراً ميتاً.

دعا رايس نفسه لشرب فنجان قهوة. فاستطاعت أن تتماسك أثناء وجوده، لكن ما إن خرج حتى بدا وكأن سداً للمياه قد انفجر.

مضى وقت طويل عليها منذ ذرفت الدموع. سنوات في الواقع، لكن عندما ابتدأت، لم تستطع أن تتوقف.

بكت على ستو. بكت على كيت، بكت على نفسها وعلى الحمقاء المخدوعة التي كانتها.

ألم يقل لها ستو دوماً إن الحب للمغفلين؟

***

- أتحب الفتاة؟

تجرأ بوب على أن يطرح هذا السؤال على سنكلير الواجم. فنظر إليه سنكلير برثاء: «الحب؟ أوضح ما هو الحب يا بوب، لماذا لا تفعل؟».

فكر بوب لحظة قبل أن يقول «إنه شعور يختلف باختلاف الأشخاص»

سخر سنكلير وهو يجيب «أين قرأت ذلك، في بطاقات عيد العشاق الرخيصة؟ سأخبرك ما هو الحب إنه وهم، تخيلات وخداع، جنون تتسبب به شهواتك»

رفع بوب حاجبه، لكنه لم يُصدم فسنكلير أقدم أصدقائه. فقال بلهجة الطبيب النفسي «هذا غريب. هل كل هذا يعني أنك تحب الفتاة أم لا تحبها؟»

- حياتي الخاصة لا تعنيك

- ولماذا لا؟

- ذكرني بأن أسألك عن حياتك العاطفية يوماً ما.

- كنت أعني لماذا لا تقيم علاقة معها؟ إنها تعجبك وأنت تعجبها، وأنتما تعيشان في المنزل نفسه

- أتظنني لا أريد ذلك؟ لكن هذا ليس سهلاً. الأمر سهل مع نساء مثل ستيفاني فأنت تعلم أنك لست أول رجل في حياتها.

- لم الأمر مختلف مع تايري، هل لأنها عذراء؟

- جزئياً ولكن، من أخبرك بذلك؟

بقي بوب صامتاً وقد أدرك أنه باح بأكثر مما ينبغي.

- هل هي تايري؟ وماذا قالت لك غير ذلك؟

- آسف، أنت تعلم أنني لا يمكنني أن أفشي أسرار المرضى.

فقال سنكلير عابساً: «عظيم، لا بد أنك تعلم عن تلك الفتاة اللعينة أكثر مما أعلم أنا!».

بسط بوب يديه. أراد أن يساعده لكنه لا يستطيع: «عليك أن تسألها إذا أردت إقامة أي نوع من العلاقات معها. إنما استعد للأجوبة».

- وهل لذلك فائدة؟ لا أراها تريد أي علاقة. ولماذا تريد ذلك؟ إنها نجمة روك شهيرة ولا أستطيع أن أتصورها تستقر مع رجل في منتصف العمر

وفي حياة غير مثيرة.

فقال بوب ساخطاً «لا تقل ذلك! أليس هذا ما قاله نيكول ذات مرة؟».

فقال سنكلير متذمراً: «وماذا في ذلك؟».

ـ لقد اقترفت غلطة واحدة في حياتك، وهي غلطة كبرى، فتركتها تؤثر في أحكامك منذ ذلك الحين.

فقال سنكلير متهكماً: «شكراً يا أستاذ فرويد. هل هذا رأيك المهني أم الشخصي؟».

ـ مزيج من الإثنين.

وعاد بوب إلى الموضوع: «المهم، يا سنيك، هو أن تايري، مهما كان نوعها ليست نيكول».

وكان سنكلير يعلم ذلك، فقال: «يا إلهي، وهل كنت لأحبها لو أنها نيكول؟».

فابتسم بوب: «أنت تحبها إذن؟».

زمّ سنكلير شفتيه ورفض أن يورّط نفسه أكثر.

ـ إذن، فستذهب لتحضرها؟

ـ وما رأيك أنت؟

* * *

اعتقدت تايري في البداية، أنه صحافي. فمن غير الصحافيين يقرعون الباب بهذا الشكل؟

كانت قد خرجت لتوّها من الحمام عندما قُرع الباب بشكل متواصل ومرتفع بحيث لم تجد فرصة لأن تجيب. ولا يعني هذا أنها كانت تنوي أن تجيب. ودفعها الفضول إلى النافذة فجمدت عندما رأت الطارق. لم تكن تتوقع مجيئه، فعندما لم يحضر في الساعة الأولى، افترضت أنه ما زال مشغولاً مع المرأة الأخرى.

رآها، فارتفعت عيناه إلى أعلى: «تايري، هيا، افتحي. علينا أن نتحدث».

أشارت إليه بأن يرحل، فهي لا تريد أن تتحدث إليه. وماذا هناك ليقال؟ وعندما لم تتحرك أخذ يهز الباب بعنف: «تايري، سأكسر الباب إذا اضطررت».

أدركت أن غضبه يتصاعد، لكنها كانت مستاءة أكثر منها خائفة. لماذا يغضب؟ وحاولت أن تجعله يتراجع بالحملقة فيه، وظنت أنها نجحت عندما ابتعد عن الباب. لكنه خدعها وتوجه إلى الناحية الخلفية للمنزل.

انتظرت حتى اختفى ثم توجهت إلى الطابق السفلي فرأته أمام نافذة المطبخ. رأته واقفاً وفي يده ترميدة. هل هذه هي التي استعملها في المرة الماضية ليكسر النافذة ويدخل؟

بدأت مرة أخرى مباراة تحديق كل منهما إلى الآخر، وكل واحد منهما يريد أن يتراجع الآخر.

تحركت هي أولاً، متجهة إلى الهاتف: «سأتصل بالشرطة».

فناداها: «افعلي».

كان عليه أن يخدعها، وقالت: «لا تظنن أني لن أفعل».

رفع الترميدة إلى مستوى كتفه: «من الأفضل أن تتراجعي. لا أريد أن يجرحك الزجاج المتطاير، فقد لا يراك رايس جميلة حينذاك».

حدقت إليه تاي لحظة أخرى، متسائلة عما إذا جُن. ما دخل رايس في الموضوع؟

ـ هذه سخافة!

واندفعت إلى الباب الخلفي تفتحه: «ماذا تريد يا سنكلير؟».

قال وهو يضع قدمه بين العتبة والباب: «سأعتبر هذه دعوة للدخول».

دخل من المطبخ إلى الردهة، ونظر إلى الطابق الأعلى لحظة ثم توجّه إلى غرفة الجلوس. وأخيراً قال: «هل ذهب رايس؟».

فسألته بدورها: «وهل رأيت سيارته في الخارج؟».

www.romancia.com

زمّ شفتيه بشدة وغضب: «ولماذا لا ترتدين ثيابك إذن؟».

تكهنت تايري بأن السؤالين مرتبطان ببعضهما، وأرادت أن تثأر منه لما سببه لها من ألم. ها هو الآن يتصرف كغيور مهووس، فيما كان يعانق امرأة أخرى منذ ساعتين.

ردّت عليه بحدة: «حسناً، تصوّر ما كنت أفعله قبل حضورك؟».

- من الأفضل أن يكون هذا مزاحاً، وذلك لمصلحة رايس!

رأت تايري أنها أصابت الهدف فقد لاحظت انقباض عضلات صدغيه والطريقة التي يقبض فيها يديه ويفتحهما. ورأت ألاّ تستفزه أكثر من ذلك.

- كنت استحم، هذا كل ما في الأمر.

وكان صوتها ضجراً: «لكن بما أننا نتبادل هذا النوع من المعلومات، فأين صديقتك؟».

- إذا كنت تعنين ستيفاني سكوت...

- إلا إذا كانت المرأة التي عانقتها في المنزل امرأة أخرى.

- في الواقع، لم أعانقها.

- نعم، ما أغباني! لقد دخلت بغتة، فأفسدت عليكما المتعة.

فقال بلهجة مطاطة: «لم يكن الأمر بهذا الشكل. نعم، ستيفاني صديقة قديمة أرادتني أن أعانقها، ولكني لم أكن أنوي ذلك».

بدا مقنعاً للغاية حتى كادت تصدقه، لكنها هزت رأسها أخيراً غير مقتنعة.

- اسمعي، ماذا بمكنتي أن أقول غير ذلك؟ ستيفاني اللعينة لا تهمني. في الواقع، لم تهمني يوماً. لكنني رجل في الثامنة والثلاثين وبحاجة إلى صحبة من وقت إلى آخر وكانت هي متلهفة لذلك.

وتساءلت تايري عما إذا كان هدفه من هذا الشرح إرضاءها فقط: «حسناً، شكراً على هذه المعلومات، لكن ماذا أكون أنا إذن؟ أظنتني امرأة أخرى سهلة تريحك».

رمته بهذه الكلمات من دون أن تهتم بفظاظتها، لكن آخر ما توقعته هو

أن يضحك. لقد ضحك فعلاً.

ثم حدّق إليها غير مصدّق: «أنت؟ سهلة؟ أتظنين أن الأمر كان سهلاً عليّ. أن أعلم، ليلة بعد ليلة، أنك قريبة مني لا يفصل بيننا سوى طابق؟ وأنا لا أكاد أعرف النوم من شوقي إليك؟ وأخاف من الإقدام لئلا تهربي من بيتي؟».

بادلته تايري النظر. كان في صوته من المشاعر المحمومة ما أخافها تقريباً.

اقترب منها وأمسك بذراعها لئلا تبتعد: «أتشعرين بشيء نحوي؟».

ما تشعر به تايري هو أنها مقهورة حباً، لكنها لا تستطيع أن تخبره بذلك. فهذا ليس ما يريد أن يسمعه. فالحب، ليس على قائمة هذا الرجل.

أحاط وجهها بذراعيه: «لا؟ إذن سأجعلك تشعرين بذلك».

نظرت إليه باحتجاج صامت. كان بإمكانها أن تدافع عن نفسها، كل ما كان عليها فعله هو ألاّ تتجاوب معه، وهذا ما يحصل عادة بشكل طبيعي.

لكن الأمر كان مختلفاً مع سنكلير. أخذت ترتجف عندما أدناها منه، وما لبثت أن استسلمت لموجة المشاعر التي اكتسحتها، مشاعر لم تستطع أن تسيطر عليها. نسيت كرامتها المجروحة بين ذراعيه ونسيت قلبها الدامي ولم تعد تفكّر إلاّ في حبها له وفي حاجتها إليه.

راح يحدق إليها وعيناه داكنتان من فيض المشاعر، ما جعلها ترتجف.

نظرت مجدداً في عينيه فرأت حناناً ماثله ذاك الذي ظهر في صوته وهو يهمس: «لم أشأ أن أؤذيك».

لم تستطع أن تتكلم، لكنها دنت منه أكثر بطريقة جعلته ينسى شكوكه.

وبعد عناق طويل ومحموم تمتم بقول: «أظنك تعلمين أنك رائعة الجمال».

فأجابت مازحة: «طبعاً».

www.elromancea.com

كان هذا أفضل من أن تقول إنها لا تبدو جميلة أبداً مقارنة مع زوجته.

ابتسم لها: «ماذا يمكنني أن أقول غير هذا؟ أنت رائعة تثيرين الغيظ أحياناً، ساحرة ومثيرة وأظنني أحبك».

نطق الجملة الأخيرة بصوت خافت، وكأنه سرّ يخشى أن يبوح به. في البداية، لم تجبه. سمعته لكنها لم تصدقه. بدا وكأنه حضر مسبقاً ما قاله وكأنه مرغم على أن يقوله ما جعلها تغضب.

ابتعدت عنه فدهش لحركتها هذه لكنه أدرك أنه جعلها تستاء منه، فسألها: «لا تريدين أن تسمعي هذا، أليس كذلك؟».

هزت رأسها، وعندما مد يده إليها ابتعدت عنه أكثر.

ـ لا أريد أكاذيب.

قالت له ذلك رافضة أن تلتفت إليه خشية أن يرى الدموع في عينيها، فهي لا تريد شفقته أيضاً.

ابتعدت إلى ناحية الغرفة البعيدة ثم هربت إلى الحمام قبل أن يستطيع منعها. أقفلت الباب خلفها واستندت إليه.

توقعت أن تسمع طرقاً على الباب لكن هذا لم يحدث ولعله ممتن لتصرفها هذا إذ سهّل أمر الخروج عليه

لكنها لم تشأ أن يكون ممتناً. أرادته أن يرفس الباب فيحطمه، ثم يتوسل إليها أن تصغي إليه. أرادته أن يقول إنه يحبها حقاً وإنه لا يستطيع العيش من دونها. سترضى بأيّ شيء ما عدا هذا الصمت الرهيب.

ابتدأت تبكي وتبكي...

مضت ربع ساعة قبل أن تخرج من الحمام. وعندما لم تسمع صوتاً في الكوخ، افترضت أنه رحل.

لكنها كانت مخطئة، فهو لم يرحل. وجدته جالساً على مقعد عند النافذة ينتظر.

رأى ملامحها المجفلة فقال: «آسف لأني خيّبت أملك، لكننا بحاجة إلى التفاهم».

فهمت تايري التوبيخ فاحمر وجهها. كانت تعلم أنها تصرفت بشكل غير ناضج حين هربت فسألته: «بأي شأن؟».

سألته هذا بما يقارب عدم الاكتراث فضاقت عيناه وكأنه يريد أن يرى ما وراء ذلك.

ـ أخبريني. ظننت أننا عقدنا الصلح لتوّنا، لكن تصرفك هذا يدل على شيء آخر.

ـ أنا... نحن... لا... لا أدري.

إزاء صراحته سرعان ما تحوّل عدم اكتراثها إلى عدم ترابط في الأفكار...

ـ هل هو عناقنا أم أن ما قلته بعد ذلك جعلك تهربين؟

فتلعثمت: «أنا... أنا...».

زمّ شفتيه لترددها، قبل أن يلاحظ أنها كانت ترتجف.

لم يكن ليحتمل هذا التصرف من أيّ امرأة أخرى، لكن تايري لم تكن أي امرأة. كانت تبدو أحياناً أقرب إلى فتاة صغيرة.

إنها واثقة من نفسها، وقحة، صاحبة مواقف عدائية، لكنها في أمور أخرى بعيدة عن النضج. إنها تتمتع ذكاء ووعي الشارع ومع ذلك بقيت عذراء وأدرك أن ثمة أمور لم يعرفها بعد.

عندما عاد ينظر إليها، كانت واقفة وقد شبكت ذراعيها على صدرها في موقف دفاع.

ـ إسمعي، إذا كنت أتحرك بسرعة بالنسبة إليك فأنا آسف.. كل ما في الأمر أنني أكبر سناً من أن أمارس الألاعيب.

قطبت تايري حاجبيها بارتباك، أتراه يظن حقاً أن هذه لعبة منها؟

قالت بصدق: «لا أدري ما تريده مني».

ـ باختصار، أريد منك أن تعودي معي إلى البيت للفترة القصيرة القادمة.

ماذا عن المدى الطويل؟ طرحت عيناها عليه هذا السؤال، لكنه تجنب

الرد وقال بغموض: «سنقرر ذلك هناك».

أرادت تايري أن تؤمن بالنهايات السعيدة. ستنجب وتعيش في بيته ثم من يدري؟ إذا كانت حذرة وتصرفت بشكل صائب ربما لن تضطر إلى الرحيل أبداً.

لكنها سلكت ذلك الطريق مرة من قبل فلم تستطع أن تعيش حسب ما توقعوا منها، رغم اجتهادها، بل كانت بديلاً سيئاً للطفل الذي أراده الثنائي تشيزولم.

ربما ستكون بديلاً سيئاً عن زوجة سنكلير السابقة أيضاً.

قالت ضارعة علّه يفهم: «لا أستطيع. أنا أميل إليك يا سنكلير. بل إنه أكثر من مجرد الميل، لكنك تعلم أننا غير متناسبين...».

- هذا غير صحيح. أنت تناسبينني يا تاي. ومنذ قليل كان بإمكاني أن أقسم على أنني أناسبك.

احمر وجهها لكنها لم تنكر: «أنا أناسبك الآن، هذا صحيح. ولكن ماذا عن المستقبل بعد أن تدرك أنني لا أناسبك تماماً؟ لعلي لا أتحدث لغة راقية بما يكفي، أو لعلي صغيرة أكثر مما ينبغي، أو غير مثقفة كما يجب، ماذا سيحصل حينذاك؟ هل ستطردني من البيت كأي جرو غير مرغوب فيه؟».

سمع سنكلير لهجتها المعذبة فنهض واتجه إليها: «تاي...».

هتفت تبعده عنها قبل أن يلمسها: «إبق مكانك».

فقال بهدوء: «لن أؤذيك...».

- نعم، هذا ما قاله هو أيضاً.

- من قال ذلك، يا تاي؟

أدركت أنها تبدو غير منطقية فهزت رأسها. وكرر سؤاله: «من قال ذلك؟».

- توم. أبي بالتبني. استعمل هذه الكلمات قبل أن... إنه... اسمع، هذا غير مهم:

- بل هو كذلك.

أحس بأن هذا غاية في الأهمية. فأضاف بهدوء: «ثقي بي يا تاي».

وعادت إلى تايري كل تلك الذكريات المرة: «لقد قال هذا أيضاً، لكن لم يكن ثمة حاجة إلى ذلك فقد سمّرني على السرير عند ذاك».

تشنّج وجهه يشاركها ألمها واحتقارها: «هل حاول الفاسق أن يغتصبك؟».

- نعم، لولا أن جاء جيش الخلاص ممثلاً بزوجته المحبة إلى الأبد.

كانت تايري تتساءل أحياناً عما إذا كانت تكره مرغريت أكثر مما تكره توم: «ألقت علي نظرة واحدة قررت بعدها أنني من أغوت زوجها ناسية أنني كنت أبكي وكنت في الرابعة عشرة من عمري».

سمع سنكلير الغضب في صوتها والإحساس بالغدر. بدا واضحاً أن هذا الأمر ما زال يعتمل في داخلها طوال هذه السنوات.

- ماذا حدث بعد ذلك يا تاي؟

- عدت إلى الملجأ موسومة بصفة مثيرة المتاعب بينما عادا هما مكللين بالإحترام، وانتهت القصة.

لكن القصة لم تنتهِ كما رأى سنكلير. فهذا الحدث في طفولتها أثّر في نظرتها إلى الحياة، جاعلاً من الصعب عليها أن تقيم علاقة ناضجة مع رجل.

- ألم يحاكم؟

- لم أقدم شكوى.

فهم سنكلير السبب: «هل لأنك لم تتوقعي أن يصدقوك؟».

فهزت كتفيها: «إنها كلمتي ضد كلمتهما؟ قال ستو إن الأمر لا يستحق العناء».

سألها بدهشة: «هل كنت تعرفين ستيوارث ماكلينان حينذاك؟».

فأومأت: «كان في الملجأ نفسه معي».

تكلمت بشكل فضح مشاعرها نحو ستو الذي ما زال حبيبها الأول على الأرجح. ولم يقل سنكلير شيئاً، إذ خشي أن يفضح غيرته.

وتابعت تقول: «على أي حال، ساعدني ستو على الانتقام. ما كنت لأجرؤ على ذلك وحدي، لكن ستو لا يخاف. لقد أتلفنا أثاث ذلك المنزل إلى حد أنه كلفهما ثروة لإصلاحه من دون شك».

كانت تعترف ببطء. فالأمر لم يعد مجرد رحلة في الذاكرة، بل محنة.

لاحظت عن قرب رد فعل سنكلير الذي اكتفى برفع حاجبه بشكل خفيف.

وتابعت: «فعلت أيضاً أشياء أخرى فظيعة. سرقت من الدكاكين، تسوّلت في الشوارع. أغمضت عيني عندما كان ستو يحصل على النقود بأسوأ الوسائل. بالتالي، لست بالضبط نوع التي تحب أن تحضرها إلى البيت لتقدمها إلى أمك».

فقال وهو يقترب منها: «ليس لي أم».

فأضافت حتى عندما أمسك بيدها: «أو تقدمني إلى أصدقائك في نادي الغولف».

فشبك أصابعه بأصابعها: «أنا لا أذهب إلى نادي غولف، كما أني واثق من أن أصدقائي أحبوك كثيراً».

قال ذلك بطيف ابتسامة، وطريقته في النظر إليها أنبأها بأنه لا يهتم بماضيها بل بمستقبلهما.

لكنها ما زالت غير واثقة: «ما أريد أن أقوله يا سنيك، هو أنني لا أستطيع أن أكون امرأة أخرى من أجلك حتى لو أردت ذلك. لقد جربت ذات مرة ففشلت».

فقال بدهشة حقيقية: «يا إلهي، يا تاي. ولماذا أريد أن أغيّرك؟ إنني هذا، فأنت شابة وجميلة جداً، ذكية ولامعة أيضاً، ولديك حس فكاهة كما أنك تجننينني».

هذه الصفات جعلت وجهها يتألق.

ـ لكني عازب في الثامنة والثلاثين ولدي ابنة وورائي زواج فاشل.

ـ حسناً، أنت تعجبني على أيّ حال.

ابتسم بجفاء «لكنها ليست الصفات التي تريدينها في رفيق حياتك، أليس كذلك؟».

ـ لست أدري

لم تكن تجرؤ على التفكير في ما ينتظرها مع سنكلير لكنه أسرع يقول: «هذا لا يعني أنني أتوقع الالتزام السريع... تعالي معي إلى البيت لفترة، لتري كيف تجري الأمور من دون ارتباطات. فأنا لن أحاول تقييدك...».

فقاطعته: «لكن ماذا ستظن بنا إلويز؟».

ـ إنها ستظننا مجنونين ببعضنا البعض، وهو الصحيح، ثم ستفكر كيف تستغل ذلك لمصلحتها ربما ستتملق واحداً منا لكي يشتري لها ذلك الجهاز الموسيقي الجديد الذي تريده.. فأنت الشخص الوحيد الذي لديه مشكلة بالنسبة لوضعنا هذا يا تاي.

ـ نعم، حسناً، إنه لا يبدو لي صواباً من بعض النواحي.

كانت تايري عتيقة الطراز. لكنها ما كانت ستتنبأ بجوابه: «إذن، اجعليه صواباً... وتزوجيني».

حدقت إليه متوقعة منه أن يتبع قوله هذا بضحكة، أو بابتسامة على الأقل ولكن لا شيء من ذلك. كان يبدو جاداً تماماً.

ـ لأجل إلويز؟

ـ لا، بل من أجلك وأجلي وحقيقة أننا متلائمان معاً تماماً.

فقالت تذكره: «ولكن... لكنك لم تشأ الالتزام».

بدت عليه الحيرة الصادقة: «عفواً، لكنك أنت التي كنت خائفة حتى الجنون من هذه الفكرة ومن ملاحقك حالياً، أظنك ما زلت كذلك».

ـ أنا. لا.. أنا، أنا...

ووجدت نفسها تتلعثم فسكتت.

ـ فقط فكري في ذلك دون ضغط. ولا حاجة بك للهرب نحو التلال، هل أنت موافقة يا تاي؟

فابتلعت ريقها بصعوبة: «لقد فكرت... ولكن أولاً عليّ أن أخبرك

عن كيث».

ساد الصمت، لقد اقتحمت المحظور، وأخيراً قال: «لا أريد أن أسمع هذا. لا شيء تقولينه سيغيّر شعوري نحوك».

ـ لكنني بحاجة لأن أتكلم.

وابتدأت تتكلم، شبه متوقعة منه أن يقاطعها، لكنه لم يفعل. في البداية، حاولت أن تشرح له كيف كان العمل مع الفرقة الموسيقية، وعن حلو الحياة ومرّها. وذات يوم، أثمر العمل الشاق، فقد أثمر تجوالهم من مكان إلى آخر، حفلات موسيقية كل ليلة، وما يعقب ذلك من إرهاق.

واكتشفت تايري أخيراً أن كيث اعتاد على المخدرات.

تساءلت إن كان سينكلير فهمها. في البداية، لم تكد تبدو عليه أية ردة فعل حتى عندما أخبرته بذلك بصراحة. كان كيث مدمناً على الكوكايين.

وأخيراً سألته: «هل كنت تعلم؟».

ـ لم أكن متأكداً، لكن شكوكي ابتدأت عندما زارنا في عيد الميلاد.

أدركت تايري متأخرة نوعاً ما، أن سينكلير كان المفروض أن يرى الدلائل. فهو طبيب على كل حال.

لوى فمه وهو يقول: «فكرت في أن أقول شيئاً، لكنني لم أفعل. وقد ندمت على هذا الآن».

هزت تايري رأسها، منكرة أن تصرفه كان ممكناً أن يغيّر الأمر: «لم يكن المخدر هو الذي قاده إلى الوقوع في الحادث، حسناً، ليس بشكل مباشر».

انتظر سينكلير منها أن تتابع. كانت على صواب، لأنه كان بحاجة إلى معرفة ذلك.

عادت تقول: «أراد أن يترك المخدرات، وهكذا، بعد جولته الأخيرة في أوروبا، سمحت له بأن يأتي ليقيم في كوخي. تصوّرت أنه سينفصل عمن يزودونه بالمخدرات».

ـ من؟ ستيوارت ماكلينان؟

أومأت ببطء، لم تكن تريد حقاً أن تفضح ستو، لكنه، بقدر ما كان

حسناً معها، كان سيئاً مع كيث.

ـ لقد نجح ذلك، لكنه لم يكن سهلاً.

قالت هذا بشيء من الزهو.

ـ وبعد ذلك. . . ؟

بعد ذلك جاءت أسوأ ليلة في حياتها. كل التفاصيل أضاءت داخل جمجمتها، كما تذكرت كل كلمة. . .

* * *

قال كيث: «اتصل ستو تليفونياً».

سألته راجية أن يكون الجواب نفياً: «هل عاد من البرازيل؟».

لكن ابتسامة كيث العريضة حدثتها العكس: «إنه قادم اليوم».

ـ إلى هنا؟

لاحظ كيث أخيراً انعدام حماستها فسألها: «هل كان ينبغي أن أخبره بأن لا يحضر؟».

ـ كلا طبعاً.

ستفعل ذلك بنفسها في اللحظة التي يمكنها فيها التسلل إلى غرفتها.

انتظرت عشر دقائق كيلا تفضح أمرها، ثم استعملت تليفونها في غرفتها لتتصل بستو.

ـ لا يمكنك أن تأتي إلى هنا.

قالت هذا بصوت بعيد عن المزح.

ـ لكنني اشتقت إليك أيضاً، يا أعز الناس.

قال هذا ببطء بعد فترة صمت سريعة.

ـ أنا جادة.

ـ وأنا أيضاً. لقد افتقدتك.

كان يتحدث بإخلاص واضح، وأوشكت أن تذعن. لكنه تابع يقول: «هذا لا يعني أنني أتوقع رداً على تعاطفي، لقد علمت بأن لديك رفيق».

www.elromanca.com

- نعم.
سألها: «هل ذلك حب إذن، أم مجرد شهوة؟».
كررت قولها: «لا يمكنك أن تأتي إلى هنا يا ستو».
فقال بتسلية: «ولماذا؟».
لم تكن واثقة من جدوى قولها هذا: «كيت ترك المخدرات ويريد أن يبقى هكذا».
ساد صمت قصير قال ستو بعده: «إنها مصادفة. لقد تركت ذلك أنا أيضاً».
وردت تاي عليه بحدة: «نعم... أراهن على ذلك».
تخلى عن ادعائه وقال: «لا بأس لا بأس. ما رأيك إذا وعدتك بأن لا أحضر معي شيئاً من تلك الحبوب؟».
- لا.
- أرجوك يا (فأرة). أحب أن أتحدث إلى شخص حقيقي.
قال هذا مخفضاً صوته. وكانت قد صممت على أن تكون حازمة ولكن كان لستو طريقة خاصة في التقرب إليها.
وعندما لانت أخيراً قالت محذره: «بشرط أن لا تحضر معك أي نوع من الكيمائيات حتى ولا حبة، يا ستو».
وعندما جاء، كانت متوترة الأعصاب للغاية ولكنها شعرت بالارتياح وهو يظهر كل ظرف وسلوك طيب.
لا بد أنه لاحظ على الفور أن كيت أصبح يتصرف بشكل مختلف بقربها لكنه امتنع عن إبداء أية ملاحظة حتى انتهوا من تناول الطعام.
سأل فجأة: «والآن، هل أنتما الآن عشيقان أم ماذا؟».
نظرت إليه تاي محذرة بينما احمر وجه كيت، إلا أن كل ذلك لم يثبط من عزيمة ستو. وعاد يقول: «نعم؟ لا؟ أم أنكما تفكران في ذلك؟».
بدا الإجرام على وجه تايري. لكن كيت، على كل حال، أخذ الطعم: «أنا أعز تايري. هل في ذلك مشكلة؟».

فقال ستو بابتسامة متكلفة: «ليس بالنسبة إليّ، لكنني لا أستطيع أن أتكلم بلسان تاي طبعاً».
كانت تعرف لعبته هذه. لكنها، هذه المرة، لم تشأ أن تدع ستو يقوم بعمله القذر ضدها. بعد يومين أو ثلاثة ستثبّط كيت برفق، أما حالياً فهو ما زال ضعيفاً وهذا سيؤلمه.
وكان بإمكان تاي أن تترك الأمر عند هذا الحد، لكن كيت أدهشهما بقوله: «من يسمعك يظنك غيوراً».
هبط قلب تايري وهي ترى أثر هذا القول على ستو فقال: «أنا غيور؟. هذا غير صحيح، وإذا كنت لم تلاحظ يا كيت، إعلم أنني لا ألاحق الفتيات».
- لماذا تفسد الأمور على تاي إذن؟ أي رجل يهتم بها في وجودك تضع العقبات أمامه.
رفع ستو حاجبه: «أحقاً؟ لا أدري إذا كانت تاي تشعر بأنني أكبت حياتها العاطفية. هل نسألها؟... تاي؟».
كانت تعلم أنه يريدها أن تسنده: «يكفي، يا ستو».
فقال بعناد: «أخبريه إذن أو أخبره أنا».
فقال كيت وعيناه تتنقلان بين وجهيهما الغاضبين: «تخبرني بماذا؟».
فقالت تاي شاخرة نحو ستو بالكراهية: «دع ذلك يا ستو».
- ولماذا أدع ذلك؟ أنا لست المخطىء النذل في هذه القصة. أنت التي تعبثين بعواطف هذا النذل الأحمق.
- تاي؟
ونظر إليها كيت منتظراً منها أن تنكر هذا. ربما كانت حقاً تعبث مع كيت بسماحها له بأن يعتقد بأن له حظاً معها.
وتابع ستو: «واجه الأمر! من المؤسف أنك غير شاذ، ألست كذلك؟».
انفجر كيت صائحاً به: «أنا لست شاذاً!».

ثم قفز واقفاً مستعداً للقتال. لكن ستو لم تكد تتحرك به شعرة، بل بقي جالساً مستمتعاً بما أحدثه من فوضى، وقال محتكماً إلى تابري. «لكنني قلت له إنه ليس شاذاً، أليس كذلك؟»

لكن اهتمامها كان موجهاً أكثر إلى كيت الذي كان وجهه قناعاً من الغضب والإحباط وهو يقبّض يديه ويفتحهما قبل أن يقرّر أخيراً أن يولّي هارباً.

قذفت ستو بنظرة اتهام، ثم ركضت خلف كيت إلى الردهة حيث كان ارتدى سترة الموتوسيكل الجلدية.

هتفت به: «إلى أين تذهب؟».

فأجاب وهو يتابع إقفال سترته «إلى أي مكان»

ـ عليك أن لا تدع ستو يوتّر أعصابك فهذه هي عادته، وأنت تعرف هذا.

ـ حسناً، لكنني لست شاذاً.

أخذ يكرر ذلك وكأنه الشيء الوحيد الذي يهمه.

لا بدّ أن ستو مس منه وتراً حساساً، كما أخذت تابري تتساءل

لكنها قالت لترضيه: «أنا أعرف أنك لست كذلك».

فقال بإصرار: «إنه على صواب بالنسبة لهذا الأمر، فأنت لا تهتمين بي، أليس كذلك؟ كل هذا في رأسي».

فقالت وهي تلمس ذراعه: «أنا أعزك كثيراً. إبق هنا. أرجوك».

ـ وإذا أنا بقيت؟

وانتظر منها أن تعرض عليه شيئاً ليبقى لأجله.

لكن تابري لم تستطع... فهي لا تحبه.

وجد الجواب في صمتها فخطف خوذته وخرج إلى جوف الظلام.

وظهر ستو في العتبة يقول ببطء: «إنه نسي تليفونه الخلبوي»

والتقط التليفون من حيث كان كيت وضعه على منضدة الردهة

فقالت متوسلة: «اذهب خلفه يا ستو، إمنعه من أن يفعل أي حماقة».

فلوى فمه: «ولماذا أفعل هذا؟».

جعلها قوله هذا تفقد أعصابها: «لأنك أنت السبب في كل هذا».

ـ «الفأرة التي تزأر».

قال ما اعتاد أن يقوله منذ كل تلك السنوات. لكنه كان أصبح عند الباب تاركاً إياها تتبعه.

ولسوء الحظ تأخرا لحظات. فقد كان كيت اندفع هادراً بموتوسيكله من خلال البوابة، فأسرع ستو يفتح سيارته ويجلس خلف المقود، فذهبت لتجلس بجانبه: «سآتي معك».

ـ لا، إبقي أنت. سأدركه، لا مشكلة في ذلك.

ـ إنتبه إذن.

ـ لأجلي أم لأجله؟

ـ لأجله.

أجابت باختصار، ثم، لسبب ما، رقّ قلبها فأضافت: «ولأجلك أيضاً».

ـ أنا أعلم أنك تحبينني حقاً.

وكانت هذه آخر كلمات قالها ستو لها. كما كانت كلماتها له هي: «وأنا أعلم أنك تحبني أيضاً». وذلك قبل أن يندفع هادراً إلى جوف الظلام.

* * *

لم تخبر تابري سنيكلير بآخر جزء من الحديث. لم تتوقع منه أن يفهم نوع حبها لستو. يكفي أنه علم بالبقية.

وإزاء صمته الطويل، قالت: «ترى من هذا أنك على صواب على كل حال. لأن موت كيت كان بسببي».

ابتدأ سنيكلير يهز رأسه وهو يحدّق في المائدة: «وكيف يكون بسببك، يا تاي؟ أنت لم تكوني على ذلك الطريق؟».

لكنها كانت تشعر بالذنب من ذلك الحين: «لكنني أنا التي وضعتهما هناك. ما كان كيت ليترك منزلي لو أنني بذلت جهدي لأحمله على البقاء».

ـ أنت لم تكوني مسؤولة يا تاي. لقد ساعدت كيث على التخلص من غدراته، وهذا أكثر مما فعلت أنا.

كانت تاي هي التي هزت رأسها الآن، رافضة أن تدعه يلقي اللوم على نفسه: «بل كان الذنب ذنبي، كان عليّ أن أجعل ستو يبقى بعيداً، فقد كنت أعرف طباعه».

ـ أتظنينه أرغم كيث على التحوّل عن الطريق؟

فأجابت صادقة: «لا أدري، أرجو أن لا يكون الأمر كذلك».

فسألها، كما كان سألها مرة من قبل: «هل كنت تحبينه؟».

فأومأت: «لم تحبه امرأة سواي، لأنه لم يكن يسمح لهن بذلك».

ـ كلانا إذن فقد شخصاً عزيزاً عليه. فقط أرجوك يا تاي، لا تدعي هذا يفرّق بيننا.

ـ أما زلت تريد أن تتزوجني؟

وكانت تظن أن قصتها ستدمّر أية فرصة لنهاية سعيدة.

ـ وما رأيك؟

كانت ابتسامته ملتوية لكن عينيه كانتا جادتين، وفي نظراتهما الثابتة، رأت تايري حبها له ينعكس إليها بشكل كامل، شاعرة بالحماقة لأي شك كان ساورها.

لقد عرف عنها الأسوأ، ومع ذلك ما زال يريدها. ورأى الأفضل منها، ومع ذلك لم يفكر في تغييرها. لقد قبل بها كما هي، وجعلها تشعر، ولأول مرة في حياتها، بأنها محبوبة حقاً.

***

كان سنكلير قد فعل هذا من قبل، وكان رايس بجانبه يربت على جيبه حيث الخاتمان وعلى وجهه ابتسامة عريضة، مثله في آخر مرة. وكانت الياقة تحك رقبته، لا شيء تغيّر.

وما زال يشعر بشيء من السخافة في ملابسه هذه.

ثم ارتفعت الموسيقى فالتفت، وإذا بها تنسف كل الشكوك والملاحظات ولا يبقى سوى التساؤل عن مبلغ جمال عروسه هذا في الدانتيل الأبيض واللآلىء، وكم جعلتهما سعيدين، هو وابنته، التي كانت مشرقة الوجه بالابتسام وهي تتبعهما مباشرة.

العهود التي قطعها أمام الكاهن كانت وقوراً جادة، هذه المرة، بثقة بالغة بأنه سيتمكن من الوفاء بها، ويحب ويكرّم هذه الفتاة حتى يفرقهما الموت

وردّدت تايري كلماته كلمة كلمة بينما قلبها يرفرف في صدرها.

***

www.elromancia.com
رومانسية